



الوجه الآخر..

the other face

رواية

تأليف

حسيبة سي عمار

الوجه الأخر...
رواية

إهداء ..

الى كل من هو جزء في حياتي ..

الى كل روح أحببني حتى و ان غادرتني ..

الى كل من ساندني و امن بجمال احلامي ..

الى كل من تواضع و قرأ هذه الكلمات ..

أتمنى ان تكون على قد توقعاتكم و تنال اعجابكم ..

.. هل يعقل أن يكره المرء مدينة كاملة لأن قلبه كسر في أحد أحيائها؟؟

"..حينما تملك الكثير من الأعداء فأنت لن تستطيع النوم ببساطة ، و لا حتى الرمش بعينيك ، لن تقوى أن تستدير لتحمي ظهرك حتى ، لن يكون سهوك خطأ تكفر عنه ، غفلتك تكافك الكثير حتى حياتك .. نعم .. لم يكن خيارك بدخول المعركة فكل هذا من تخطيط القدر، لكنك في نقطة اللاعودة .. صبرك وثباتك هو ما سيحدد مصيرك .. يحتبس الوقت في أحشائك ، و سلامك لم يعد يملك أي معنى لديك ، هل ستستسلم؟؟ .. أم تختار المواجهة؟؟ .."

زفر و هو يلتقط الكمان من الصندوق ، بأيد بيضاء لم تعرف التردد يوما قام بأسناده الى رقبته الشاحبة المجعدة بينما تلاعب أصابعه الباردة القوس بسلاسة ، أنزل ستارة عينيه على زرقة تغرق مقلتيه ليشتتم رائحة الحزن في تلك الموسيقى الهادئة التي كانت تتلاشى على طول بهو ذلك القصر الفخم .

الألم و الوجع قطع اليأس نياط كمانه مستمرا بالعزف بينما كان عقله يسبح مبتعدا عنه في تلك التفاصيل شديدة الصغر التي كانت تكونها ، حولته ذكرياتها السعيدة من رماد لشعلة حارقة لا يزيدھا دمعه الا اشتعالا وحقدا، فيما تبعثرت روحه على نوتات خطواتها الهادئة و هي تحاول اخافته ، كان التمني ينتشر على طول أوتار معزوفته البائسة ، حلم اندثر تحول لرغبة مستحيلة بأن يضمها و يسمع تذرھا أنه يخنقها ، أن يشم عطرھا ، أن يتبارز معها ليسترد نظاراته الطبية من فوق أنفها المدبب الصغير .

" صغيرتي ...!!!.."

تملص الوتر فجأة و جرح إصبع ياسين لتتناثر الدماء على قميصه الأبيض، توقف عن العزف محققا الى الشرخ الذي وشم على بشرته بشرود فيما تراوده فكرة ان يتركه ينزف دون تعقيم ، لكنه قرر أن يعيد الكمان الى مكانه بعناية ، ثم سحب ضمادة مغبرة من درج المكتب و حاوط إبهامه بها ، إتجه نحو النافذة و وقف ينظر للفراغ ، كان يفكر في جرحه الذي لن يشفى مهما حصل ،خاصمه النوم و لم يعد يصاحب جفونه منذ أن فقدھما و مازال يجتر تفاصيل ذلك اليوم الأسود حتى بعد سنة .

تدللت عيناها على نسمات صباح الهادئة المتسللة من النافذة ، تحسست مكان زوجها على السرير ، ثم تغيرت تعاليم وجهه مائن تأكدت أنه لم يعد بعد منذ آخر مشاجرة له معها ، إبتعدت عن السرير في اتجاه صوت بكاء ابنتها ذات السننتين ، حملتها بين ذراعيها تهددها و قررت أن تقبل عرض والدها بزيارته، وضبت حقائبها و أمرت الخادم بإخراجها للسيارة التي تنتظرها خارجا . بشق الأنف أخرجت هاتفها من حقيبتها الوردية الكبيرة فيما لاحت على وجهها شبه ابتسامة مائن رأت المتصل، أجابت بصوت مخنوق يأس محاولة أن تداري حزنها الذي خنق صوتها و قطعه عدة مرات .. بينما كانت أعينها تتبع أخر ظل لمنزلها بينما كانت تتمنى أن تحرق أوجاعها و ألامها كل جزء فيه.

" ألو .. صباح الورد يا احلى أب في الدنيا .. "

" "

" سنغادر الآن .. "

" ... "

" يبدو أنك تشتاق لها اكثر مني ..!! أنا أشعر بالغيرة .. "

" "

" أعلم و أنا احبك أيضا .. لا تنسى علبة الشكولاتة التي وعدتني بها .. "

" ... "

" هذا جيد .. سأتصل بك عندما أكون قريبة .. حسنا ... "

" "

" لا تقلق .. سأوصي السائق و أكون حذرة أيضا .. أنا اعدك .. "

" ... "

" لا سنمر على الطريق البحري .. أريد أن أزور البحر أنا و لجين قبل العودة الى القصر .. "

" ... "

" أرجوك .. أبي .. سأكون بخير لا داعي للقلق علي ، أصبحت أما و لازلت تخاف علي كأني فتاة في الحضنة .. "

هامس لنفسه بعد أن أغلقت الخط .. " لكنك ستبقيين أميرتي الصغيرة مهما كبرت .. "

ما زال طنين الهاتف يتردى على طبلة أذنه مختلطا مع أخر كلمة لها ، إسترجع ألامها التي فضحها صوتها رغم محاولها اخفائها عنه ببضع كلمات مرحة و بسمات عابرة لأنه كان يعلم كل شئ ، ولم يكن إبتزازه العاطفي لها إلا محاولة منه أن ينقذها من بين برائين حبها الساذج وذلك البيت المشؤوم للأبد لكنه كان قد تأخر .. تأخر فعلا ... أمضى ساعات بعدها

ينتظر خبرا منها ، إلى أن نفذ صبره و ابتلع القلق اخر رمق من طمئنيته ، كان يسمع صوت
المجيب الالي في كل مرة حاول الإتصال ليصده هاتفها المقفل ، زاد توتره و تسارعت خفقات
قلبه سحب علبة الدواء من جيب سترته و تجرع بضعة حبات دون عدها، ثم هرع يركض
نحو الهاتف الذي كان ممددا فوق مكتبه ..

" ألو !! مي؟؟ لقد ..ت..أ..خ.." كان صوتنا خشنا لم يمر على مسمعه قط ..

"....."

"الشرطة؟؟؟.."

"..."

" ما الذي حصل؟؟.. هل هما بخير؟؟"

"..."

" انا قادم فالحال !!.."

لم يذكر تلك الثواني التي حمل فيها هاتفه و مفاتيح سيارته متناسيا جاكيتته الرمادي فوق
كرسي المكتب ، ما كان يذكره هو ركضه مثل المجنون نحو سيارته و بسرعة البرق كان
قد ابتعد عن باب الخروج بأميال في حين دموعه غسلت مسام وجهه المتجدد و الشاحب
في كل متر يقطعه أملا أن يكون محظ خيال وهلاوس منه لا أكثر ، كذب حواسه لأكثر من
مرة فما سمعه لازال مستحيلا ، كل زفرة كانت تدعو داخله أن ترحمه الأقدار وأن لا يفقدهما
معا ، أن يكون مجرد خلط في الأسماء وحسب ، كان يضرب المقود حينما كان يقع بصره
على عداد سيارته اللعينة كأنها كانت تعود به للوراء متباطئة و لا تتقدم ، فيما صورة عزيزتيه
تداهم عقله و تغزوه .

" لا غير معقول.. لا يمكنني فقدهما .. لا يمكن .. غير معقول .. سأندمر ..."

شعر بوخز في صدره و دوخة زغللت بصره بينما أثلج البرود كل عضو فيه ، أبقى أن يجلس
أو أن يسقط، ضغط بشدة على ظهر الكرسي حتى كاد أن يكسره فيما تشبثت عيناه بنوافذ
الماضي التي غرقت دموعه الحمراء الغاضبة زجاجها . فتح جرحه لم يكن بالجديد فهو لم
يغفر حتي ينسى أوجاعه ، عاد ليجتز دقائق دماره ، و توقف عند تلك الصخرة التي كانت
تقبع على جانب الطريق المحاذي للحادث ، تذكر كيف أقفل محرك سيارته فيما شلت ساقاه
عن الحركة أو الخروج ، إحساسه أن هواء إحتبس في الداخل و صار يخنق صراخه في كل
مرة حاول فيها التثهد ، فتح كل نوافذ و تنفس عدة مرات بعمق و ببطئ حتى هدأ كانت شفته
السفلى ترتجف بينما كان يحاول التتممة بما يشبه الدعاء لكن صوت الشرطي شنت تركيزه
وأعاده لنقطة الصفر ..

" إذا لم تكن معنيا بالحادث فغادر لو سمحت.. ممنوع أن ترصف سيارتك هنا في الوقت
الراهن .."

" لقد إتصل بي أحد أفراد الشرطة و طلب مني الحضور .."

" هل أنت والد الضحية؟؟..تفضل معي لو سمحت !!"

همس مع نفسه معيدا آخر كلمة .. " الضحية ..؟؟؟ "

بلع ريقه بصعوبة و جمع صوته المبحوح داخل حنجرتة في حزن غامر، إنساق وراء الشرطي ككبش نودي للمحرقة تاركا السيارة بباب مفتوح ، كان يجبر قدميه المتحجرة على التقدم للأمام ، عاصرا أصابعه بين كفي يديه ، كان ينظر نحو العيون التي تتجمع حول المكان لا يغمرها غير الأسى عليه باحثا عن منفذ فهواء ذلك المكان بات يثقل صدره رويدا رويدا لدرجة لم يعد قادرا على التنفس بتاتا ، عقله شل ولم يعد قادرا على التفكير فيما يحصل معه .. تجمد وقتما خلعت الرياح ذلك القماش الأبيض الكبير عن وجه إبنته المتوفاة ، لم يعد قادرا على الإقتراب أكثر وقتما لاحظ تنك الكدمات التي علت وجهها و كتفيها أوقف نظره عند خصلات شعرها المبلل و تبع قطرات الماء التي كانت تمسح كامل جسدها ..

توقف عن التفكير بعد أشعلت زرقة عينيه غضبا و حقدا لم يزد قلبه الا قتامة و سوادا ، كان يبكيها بعيون جافة في كل مرة إحتلته ذكراها ، ثم أخذ الهاتف بين يديه و طبع رقما .. إنتظر صوت الرنين وإجابة أحدهم بعدها ..

" أين أنت؟؟"

" أنا قريب من المنزل سيدي ، هل هناك أمر مهم؟؟"

" تعال فوراً...!! "

" الآن سيدي؟؟ لكن؟؟.."

" فوراً!!!..."

" حاضر سيدي ، أنا في الطريق .. سأغلق الخط الان .."

أغلق قبضة يده بقوة و حزم ..

" ساعة الإنتقام قد بدأت .. فكن مستعدا للجحيم .."

بعد دقائق قليلة ..طرق السيد علي باب غرفة مستأذنا رئيسه ياسين الذي قبع في الجانب المظلم للغرفة

" ..أشعل النور و إجلس أريد أن أحدثك في أمر مهم ..!!"

أشعل علي النور و أحضر كرسيه و جلس مواجهها لسيدة الذي يشبك أصابعه ببعض في تفكير طويل ..

" .. أريدك ان تجمع أكبر عدد من الأطفال المشردين !! "

" أجمع أطفالا مشردين؟؟.. سيدي إذا كنت تريد أن تتبنى احدهم فبإمكاني أن .."

وقف ياسين على حين غرة زاجرا ..

" لا تكن احمقا .. أنا لا أريد أن أتبنى أحدا .. أريده لتنفيذ إنتقامي .. "

" لم أفهم سيدي؟؟ أرجوك وضح لي أكثر.."

" لقد تأخر الوقت الآن .. ستفهم كل شئى غدا بعدما تحضر ما طلبته منك .. أمفهوم؟؟.."

" أكيد سيدي !! .. "

" جيد .. كن هنا قبل الثانية و نصف و معك الاطفال .. (أماء علي برأسه ايجابا) ..يمكنك المغادرة الآن"

" تصبح على خير سيدي .. طلبك سيكون هنا قبل الثانية من يوم غد .."

و غادر الغرفة ساحبا الباب خلفه فيما سافر ياسين بعقله الى جرحه الذي مازال يدمي و لم يندمل بعد ..

كان يجلس على حافة الكرسي الحديدي في مخفر الشرطة و دموعه تنهمر كشلال لتسقط على زجاج نظاراته الطبية المكسورة ينعي قدره وواقعه القاسي الذي لم يرحمه أبدا ، لم يكن يملك غير إبنته مي بعدما خطف الموت زوجته زهراء الغالية و الآن لم يبقى أحد بعدما غادرته أميرته مي .. صغيرته مي ..

" لو سمحت .. ربت أحدهم على كتفه ليقطع حزنه على إبنته

"يمكنك الدخول الى مكتب المفوض الآن .."

بخطوات متناقلة لا تكاد تحمل جسده دخل المكتب و جلس على أقرب مقعد وجدته في صمت تام ..

" نحن أسفون لخسارتك .. تعازينا الحارة .."

لم يأبه بالرد ثم تتمم من بين شفثيه دون أن يرفع نظره نحوه .. " أريد أن أعرف كيف حصل هذا .."

" نحن بصراحة لا نعرف بعد ، ماذا حصل تماما ..كل ما بإمكانني إخبارك هو أن إبنة حضرتك تعرضت لحادث السيارة في الطريق البحري بينما كانت متوجهة على الأغلب للقائك .."

" ما لا أستوعبه هو لم كانت السيارة بعيدة وقتما إبنتي كانت غريقة في البحر .."

" لا نعرف بعد سبب ذلك لكننا نبذل قصار جهودنا .."

" و ماذا عن حفيدتي؟؟ .. اين هي؟؟ ألم يجدوها بعد .."

" على الأغلب قد جرفتها مياه البحر الى مكان آخر .. لقد وسعنا حقل البحث عنها ، لا تقلق سنجدها قريبا"

مرت سنة كاملة على ذلك الحديث الذي كان يقع على رأسه مثل الحجارة ، و لم يتغير شئى بعدها توقفت جهود الشرطة بعد وقت قصير لترمى القضية نحو المجهول ، لا أحد غيره كان يعرف أن المسؤول عن ذلك الحادث كان **حسن صديقي** نسيبه و زوج إبنته الوحيدة ، كان

الفشل يتبعه في كل خطوة يقترب فيها منه ، و كل دليل ملكه كان حسن يردمه و يدفنه بلا رجعة ، في كل مرة كانا يلتقيان كان الشلل يعقد لسانه عن السؤال الوحيد الذي يجرحه " لماذا؟؟؟.."

كان يعرف ان عدم قدرته على طرح السؤال تعني خوفه من معرفة الحقيقة ... رويدا رويدا صار ياسين يتجنب حسن في كل مناسبة سانحة الى أن إختفى حسن عن الأنظار تماما ، و غزى الحقد قلبه بعدها وبات مهتما بأن يقتص منه مهما حصل فالحقيقة لم تعد مهمة بالنسبة له ، في كل نفس أراد دماره .. دمار حسن صديقي قاتل بنته ..

في بلاد اخرى ..

منزل خشبي صلب رغم عتاقة تأسويه .. يجيب حسن على الهاتف بصوت أشبه للهمس

..

" أهلا .. بخير كيف حالك؟؟.."

" ... "

" سأعود بطائرة الحادية عشرة صباحا ..أريد حراسة مشددة .."

" ... "

" لا يهمني.. تدبر الأمر بطريقتك ، انت تعرف أن أعدائي كثيرين و لن يفوتوا مثل هذه الفرصة ..!! خصوصا ذلك العجوز هو لن يدعني وشأني مائن يعرف بعودتي..."

" "

" لا احد يعرف بالأمر ما عداك أنت ... أريد حراسا متمرسين أمفهوم؟؟.. "

" ... "

" لا أستطيع أخبارك فالتاتف .. أنا أعتمد عليك .. "

وضع الهاتف في مكانه فتح باب الغرفة في آخر الرواق برفق ليطل على سرير موضوع على الجانب الأيمن للغرفة بعد خزانة الملابس و المنضدة المستندة على الجدار الخشبي .. تقدم بخطوات خفيفة ووقف بجانبها يتأمل تعاليمها الصغيرة و الدقيقة ، عدلها و غطاها جيدا

..

" .. هم لا يعرفون من تكونين .. و لن يعرفوا ذلك أبدا ، لن أسمح بأن يصل إليك أحد و لو على جثتي "

هم بمغادرة الغرفة لكنه وقف بجانب سريرها ثانية يتأملها وهي نائمة ثم تابع قائلا

" .. إنه وعد مني .. "

يوم مكتظ آخر وسط هذه المدينة الكبيرة، شوارع يغطيها الغبار و أدخنة السيارات المسرعة ، تراحم الناس على المتاجر و القطارات العابرة بين الفينة و الأخرى، كان يجلس وحيدا على كرسيه الخشبي القصير في محطة الحافلات يتأمل الجانب الاخر لطريق السريع تتدلى من يده فرشاة سوداء متسخة بلمع للأحذية ، تعتلي رأسه قبعة قطنية تملؤها الثقوب من الجوانب تكبره ببضع سنتمترات ، ملابس رثة ومقطعة تكاد لا تغطي أي جزء من جسده الصغير المتجمد جراء نسيمات الشتاء الباردة و بجانبه يغفو صديقه المقرب معاذ متكوراً على نفسه فوق الكرسي الحديدي ، كان يسترق النظر إليه بين الفينة والأخرى ،لأنه يراه مسؤوليته ، فالعائلة تهتم ببعضها البعض ، رغم أنه لا صلة قرابة بينهما غير السنتين التين تفصلهما عن بعض . جلس رجل فوق كرسيه المخصص لزبائن و دلى قدميه من عليه ، إشتعل غبطة وتقدم ليلمع الحذاء بعد مدة من الإنتظار أشعرته بالضجر و النعاس و هرع ينجز عمله بشغف و ما إن إنتهى حتى قام الزبون مغادرا دون دفع تعجب الفتى و أسرع ناحيته ليحول دون أن يرحل ..

" سيدي الأجرة لو سمحت !!"

إبتسم بغرور و أبعده الفتى بكف يده ، لكنه لم يستسلم و صاح ..

" لقد لمعت حذائك لتو سيدي ، أرجوك أريد أجرتي .."

" لا أجرة لك عندي !.. جلست لأنني لم أجد مكانا أرتاح فيه بعد أن إحتل أمثالك من المشردين كل كراسي المحطات ، إبتعد هيا !..!"

دفعه بقوة سقط إثرها على الأرض و جرح مرفقه ، أصر الفتى ذو الثلاث سنوات على أن يأخذ حقه فوقف مجددا و هو يضغط على مرفقه من الالم ..

" ألا تخجل أن تسرق مساكين مثلنا ، نحن نعمل لنعيش ، أن لم نأخذ أجرتنا و سرقنا أمثالك من البشر كيف سنستمر جوعنا و حاجتنا الى المال "

إستيقظ معاذ مفزوعا على صوت صديقه ، بينما نظر بقيت الركاب المنتظرين في محطة الباص الى الفتى و هو يصرخ مترجيا ، أخرج الرجل من ما قاله الفتى و رمى ببضعة قطع نقدية في الهواء محاولا تبرير موقفه أمام العامة ..

" نحن نرتاح من شحاذتكم وقتما ننصاع لما تطلبونه .. خذ و إخرس .. "

لملم الفتى القطع النقدية المنثورة على الأرض بتعابير النصر و دسها في جيبه بينما ركض إليه معاذ ..

" ماذا حصل ؟؟.. ألم يرغب في الدفع ؟؟.. مجددا..؟؟"

أماء الفتى برأسه و حرك القطع النقدية في جيبه الصغير مبتسما غامزا لمعاذ بغبطة

" هذا جيد و إلا ما كان كمال سيتركنا و شأننا الليلة .." سكت قليلا ثم سمع صوت أمعائه التي تتراقص في الفراغ ، حاول أن يغطي بطنه بخجل ليحول دون أن يصل صوتها الى صديقه

..

" لا تقلق لست جائعا .. إنها فقط.. "

ربت الفتى ذو الخمس سنوات على كتف صديقه الصغير

" لا تقلق لدي ما يكفيننا من النقود .. بما إنه أول يوم في الشتاء سأشتري لك بيتزا ما رأيك؟؟
.. "

فرح معاذ بمفاجأته و ضم صديقه بقوة الذي تحسس بعض الحرارة تخرج عن جسم صديقه
.. "

" معاذ .. هل تعاني من الحمى؟؟ .. هل أنت مريض؟؟ .. "

" لا .. لا .. انا بخير .. بعدما سمعت بالبيتزا لن يجعلني شئى أمرض .. هيا بنا .. هيا !! ..
أنا أشعر بالجوع "

" هه .. أيها النهم .. !! " جمع أشياءه بسرعة و إتجها الى أقرب مطعم ليتناولوا البيتزا، و لم
ينتبها الى من يراقبهما من بعيد .. "

أكلا بنهم و غادرا بسرعة نحو ذلك البيت المهترئ الذي يجمعهما مع بقية الاطفال المشردين
أين المتسلط و الرئيس و الزعيم و حتى المربي هو وحده " كمال " .. "

قرعا الباب الكبير و دخلا معا أين كان في إنتظارهما في غضب جم ..

" لم عدتما باكرا هكذا ؟ ..أهو فندق !! "

" معاذ مريض و لا يستطيع البقاء خارجا فالجو بارد جدا .. "

" هيا .. النقود !!.. "

أخرج الفتى القطع النقدية من جيبه و وزعها على مكتب كمال المتداعي بينما إختبأ معاذ خلف
ظهره .. نظر إليهما نظرة تنطائير شررا ووقف مبتعدا عن كرسيه و إقترب من حافة المكتب
بجانبهما ينظر عن كئيب للقراريط النقدية الموضوعة عليه ..

" ما هذا؟؟ .. "

" إنه ما كسبناه صباحا .. " أجاب في رعب من ردة فعله العنيفة ..

" أتقصد أن هذا كل شئ!!! " و إنهال بصفعة مدوية على وجه الفتى الذي أصدر انينا و كبت
دموعه بعد أن علم كمال على وجهه

" ماذا فعلتما بباقي النقود؟؟ .. تحدثا !! و إلا ...!! " هم بصفعه مرة اخرى إلا أن معاذ تدخل
مبررا الوضع بخوف ..

" لقد .. لقد كنت جائعا .. و .. إنه ذنبي أنا .. أنا أسف .. "

" قلت بسببك انت !!! .. " في هذه الأثناء تناثرت بضعة قطرات للأمطار مع بعض الرعود
قطع غضب كمال و صراخه لثواني ..

همس معاذ بعيون يملؤها الحزن و الترجي .. " سامحني ارجوك ..!! "

زفر كمال في صمت نحوهما ثم أردف قائلا .. " أسامحك بشرط واحد .. " إبتسم الصبيان في إرتياح

.. " عليك أن تعود الآن و تعمل و تكسب أكثر مما أحضرت لتو .. "

" لكن !!.. "

أوقف الفتى معاذ و أجاب بسرعة .. " موافق .. لكنني سأذهب لوحدي ، معاذ مريض و لا يستطيع الذهاب معي .. "

أما كمال برأسه بمكر " لك ذلك .. غادر الآن قبل أن أغضب .. "

إتجه نحو معاذ و تحسس رأسه فوجده ملتهدا .. " إنتظرنني سأعود بعد أن أنتهي .. حسنا .. إرتح هنا قليلا فأنت مصاب بالحمى .. "

" لكني أريد الذهاب معك .. "

" لا لا يمكنك أنت مريض و لن يكون بمقدوري العمل أو الإعتناء بك و أنا خارجا .. حسنا لا تبتئس .. سأشتري لك بعض من الشوكولاتة عندما أعود .. إتفقنا؟؟ .. أنا أعدك "

وافق معاذ على مضض بينما غادر الفتى يحمل عتاد عمله الثقيل ثانية .. و مائن أغلق الباب حتى طلب كمال من معاذ تقطيع بعض الخشب في باحة المنزل تحت الأمطار المنهمرة كعقاب له ..

ظل القلق و السخط يحزم فوق رأس ياسين فقد مرت الثانية زوالا و لم يظهر أثر لخادمه بعد، الى أن إستسلم أخيرا و إتصل ..

" أين أنت؟؟ .. ألم تنجز ما طلبته منك؟؟ .. لم لم تحضر بعد ؟ .. "

" انا أسف سيدي ، لكنني إرتأيت أن أبحث عن أطفال ذوي صحة جيدة قادرين على تحمل ما يطلب منهم لهذا سأخذ وقتنا أطول .. "

" أطول !! .. لقد قلت اليوم .. هل جننت يا علي ..؟؟ "

" لا سيدي .. أنا فقط .. أعذر ثانية على تأخري ، و أعدك أن مجموعة الأطفال ستكون حاضرة أمامك يوم غد صباحا .. "

" الأحسن لك أن تفعل هذه المرة .. "

" لا تقلق سيدي .. سأنفذ ما طلب مني بالحرف فقط أمهلني بعض الوقت حتى أحضر الأفضل .. أرجوك .. "

" الأفضل من أطفال الشوارع !!.. أيا يكن .. أمدد المهلة ليوم غد صباحا و هي آخر فرصة لك .. هيا يا علي انت تعرف أنه لا وقت لدينا أسرع .. "

" حسنا سيدي .. سأسهر على تنفيذ الأمر .. لا تقلق .. "

رمى ياسين الهاتف فوق المنضدة زافرا بحنق ، لا حل أمامه الآن غير الإنتظار و الصبر ..

..كان يركض تحت الامطار الباردة مغطيا رأسه بحقيبته العثة التي تحمل عتاد شغله البسيط الى أن وصل الى مدخل البيت . وقف ينفض ملابسه المبتلة ، و أخفى علبة الشكولاتة تحت قميصه و عدل هندامه قليلا حتى لا يشك كمال في شئ ، كان مغتبطا لأنه جمع أكثر من المال كفله به .. إبتسم وهو يتخيل السعادة ترتسم على وجه معاذ الصغير

"سيفرح .. على الأقل سيشفى بسرعة و لن أقلق عليه .."

دفع الباب المهترئ فأصدر صوتا عاليا خرج على إثره كمال صائحا و لاعنا يتبعه صديقه السكر

" لم تأخرت هكذا ؟؟ .. هذا منزلي و ليس فندقا .. "

" أنا أسف .. " إقترب من كمال و أخرج من جيبه أوراقا نقدية بفخر .. " لقد كنت أعمل و جنيت كل هذه النقود .. "

أخذ كمال النقود من يديه بقوة و نظر اليها بعيون الصقر الجائع .. " أمم .. هذه المرة سأسامحك .. إعتبرها آخر مرة و وإلا سأجعلك تمضي الليلة خارجا .. مفهوم !!"

هز رأسه بالأيجاب بينما هم كمال بالعودة لتلك غرفة التي تفوح برائحة العفن و الخمر و الرذيلة .. أصابت الحرقة بصره بينما كان يحرق في وجوه الصبية المتجمعين أمام الموقد الذي بالكاد كان يشتعل ، حك عينه اليسرى باحثا خلفه لكنه لم يجد أثرا لمعاذ ..

" سيدي !!.. أين معاذ أنا لا أراه مع بقية الفتية ؟؟ .."

" من هذا ؟؟ .. أنا لا مزاج لي في الحديث إذهب لتنام .. هيا .. "

إنتفض قلبه فجأة وقفز يقطع الطريق على كمال بجرأة ..

" هل جننت ؟؟ .. أتريد ان تمضي الليلة خارجا ؟؟ .."

" لا .. أنا أريد صديقي فقط .. معاذ أين هو ؟؟ .. لقد عدت به صباحا لأنه كان محموما و .. وعدتني أنك ستهتم به .. "

غضب كمال و رفعه من ياقته البالية حتى تمزقت أطرافها

" إسمع لا تغصبني .. صديقك خارجا يقطع الحطب و لم ينته بعد .. الآن إهدأ و لا أحرصتك بطريقتي .. "

بلع ريقه بصعوبة من الخوف و أتجه نحو الفناء ما إن إختفى ظل كمال عن ناظره، دفع بجسمه الصغير الباب العالق و لم يدرك إنفتاحه الى أن تسللت قطرات المطر الباردة داخل

قميصه فيما إحتلت نسمات الهواء البارد ضلوع المنزل .. بحث عنه بعينيه لكنه يجد أثرا له .. زاد خوفه و توتره فأخذ يصيح بقوة أكبر ..

" معاذ !!... معاذ .. أين أنت ..؟؟لم لا ترد ؟؟"

سمع أنينا خافتا تحت الخشبات المكومة فوق بعض فأسرع نحوه يبعدها عن صديقه ..

" لا تقلق .. سأساعدك .. لن يحصل لك شئى .. "

كانت ثقيلة جدا على ساعديه فشرع يصرخ بقوة جعلت كمال و بقية الفتية يخرجون لتقصي ما يحدث ..

" ماذا هناك لم تصرخ ؟؟.. ألن تدعنا ننام يا هذا ؟؟" شخط كمال بالصبي المدعور ..

" أرجوك ساعده .. لقد وقعت عليه .. إنه .. معاذ .. هناك تحت الخشب هناك .. أرجوك !!"

تقدم كمال بخوف و تردد ليزيح الخشبات المبلولة عن معاذ الصغير .. تقدم الفتى منه بسرعة وأخذه بين ذراعيه محاولا مساعدته على الوقوف وسط المطر المنهمر بغزارة .. حاول معاذ الوقوف لكنه لم يستطع و أمسك بجرحه البالغ بجانب المعدة ووقع على الارض مجددا بينما تراجع كمال مبتعدا عنه بذعر كبير

"ماذا هناك ؟؟ هل تتألم ؟؟.. أرني !!" أبعد يد معاذ عن الجرح البالغ و اصطدم بالدماء التي كانت تدوب وسط ثيابه المبلولة بفعل المطر

" إنه .. إنه لا يؤلم صدقني .. " صوت معاذ المبحوح و المتألم كشف عن كذبه..

" علينا أن نأخذه الى المشفى !!.. " صاح في وجه كمال المتسمر و البارد .. " أرجوك !!.. أرجوك .. لا يجب أن يموت .. إنه عائلتي .. " نظر نحو معاذ الذي بدأ يرتجف من البرد و قد إزرقت شفاهه و ثقل لسانه .

إحترق قلبه و تبخر مع دخان سيجارة كمال المشتعلة ، و نزل ببصره الخائب الغارق في الحزن و الخوف نحو معاذ مائن فهم صمت ذلك البائس المتحجر..

" أنت لن تموت .. أنا سأحملك بنفسى .. هيا .. " حاول رفعه لكنه كان أثقل من ما توقع فوقه ثانية على الأرض الرطبة صارخا ببيكاء حارق ..

" أرجوك سيدي ساعده .. !!"

" هناء !!.. " بصوت متناقل خافت هز معاذ يد صديقه .. لينظر إليه و الدموع تغشو عينيه ..

" أنت أختي التي لم أعرف يوما ما إذا كنت أملكها أم لا " .. و سعل بقوة حتى كاد أن يختنق " لا تتحدث !! ستتعب نفسك .. علي أن أضمد جرحك أولا .. لا تخف أنت لن تموت .. لن تموت .. " وضغط على جرحه بيديه المرتعشة و الباردة محاولا وقف النزيف ..

" ه..ه..هنا..!! (نظرت نحوه بحزن تعد ثواني الوداع غير مصدقة أنها ساعة الفراق بينما إبتسم معاذ نحوها) .. لا أحد يعرف أنك فتاة ، و هذا سر خاص بنا إنه ما يجمعنا معا .. "

أماءت برأسها في حزن بالغ بينما إختلطت دموعها مع حبات المطر الباردة " أرجوك .. لا تمت .. لا ترحل .. أنت أخي الوحيد ..كيف سأعيش لوحدى؟؟"

" هناء .. كوني قوية .. " بلع معاذ ريقه بصعوبة و تسارعت دقات قلبه و إزداد ضغط يده على ذراعها بينما تحمله دوامة دوار و الضعف الى درب الا رجعة ، دس رأسه داخل صدرها عسى أن تخبئه من قسوة القدر ..

خف ضغط يده الصغيرة على كم ذراعها المهترئ و قال بصوت يتضاءل شيئا فشيئا ..

" لقد كانت البيئزا لذيدة و دافئة .. هل أحببتها أنت ايضا؟؟"

ضغطت عليه داخل حظنها تحاول حمايته ، و أجابت بينما الدموع تخرق صوتها ..

" أجل ، و سأشتري لك غيرها كما أني أحضرت لك بعض الشوكولاتة ..أنظر !!.. " تجمدت ما إن تأكد أنه لا يرد و لا يتنفس ، هزته بقوة تصرخ بأسمه تارة ، ترجوه تارة أخرى لكن الموت كان أقوى اقتلعه منها و لم تستطع حتى مساعدته ، فقدت حواسها و منطقها و باتت تصرخ و تبكي بشكل هستيري ما إن تأكدت أنه فارقه ولن يعود ..قذف كمال بسيجارته المكتملة فالهواء لتناثر رمادها و ينطفئ تحت قطرات المطر و أشار الى صديقه المخمور بأن يتقدم معه إقترب حتى يلامس جسد معاذ الهامد ، لكنها منعتة وتشبثت به و صرخت في وجهه ..

" لا تلمسه؟؟ .. كله بسببك ..!! إبتعد عن هنا .. سأدفنه وحدي .. وحدي سأقوم بذلك "

إنفرض من رد فعل الفتى ذا الخمس سنوات ، الذي تحدث معه بكل ذلك الحقد و الغضب كان مستعدا لقتله في ثانية ، أماء الى خادمه الذي فهم المغزى ليسحبه من ذراعه و يبعده بالقوة ، أفلت منه بعدما ضربه على ساقه بغطه و عاد ليقف حائلا بينهما ..

غضب كمال و عاد ليجرها من شعرها بعدما وقعت قبعتة الكبيرة في بركة موحلة ، ثم علم على وجهها بصفعة تكلم صداها بين الجميع ، ثم رماها بين يدي صديقه زاجرا ..

" أجننت يا هذا؟؟ .. كيف تجرأ على عصيان أوامري؟؟ .. سأريك ما إن أنتهي !!.. " نظر الى السكير الواقف بجانبه " و أنت !! .. أمسكه جيدا .. "

لم تستسلم هناء و زاد صراخها الهستيري بينما تبعث أرجلها بركلات عشوائية متتابعة في الهواء ..

" أنت السبب؟؟ .. لقد جعلته يأتي الى هنا و يعمل رغم أنك تعلم أنه مريض .. أنك سبب موته ..لن أسامحك أقسم على هذا !!.. لن أفعل .. لا تلمسه !! لا تفعل .. لا أريده أن يرحل .. دعه هنا .. أرجوك .. الى أين تأخذه ..؟؟ .. لا لا .. "

حمل كمال جثة معاذ وقطرات المطر الدامية تنزل من عليها لتحط على التربة الرطبة ، كان يمشي بهدوء و تروي يتبعه صراخها العالي و بكائها لحد الإختناق و البحة فيما رسم دم معاذ طريق الوداع.. ترك الخادم ذراعها ما إن خرج كمال و دفعها بعيدا زاجرا ..

" إسمع !! إخرس فوراً .. و إهدأ و الا أنت تعرف العواقب .. إخرس و لا أريد لك صوتاً .. "

ثم غادر متمتماً بكلمات غير مفهومة .. ارتمت على الأرض تبكيه بحرقه تشعل مياه المطر حزناً و ألماً ، نعتة بصمتها ووجعها المكبوت و الالبكم .. هدأت عندما سمعت صوت خطوات تقترب منها ، لم يكن غير زميل لها في ذلك المنزل البائس

" هاي أنت !!.. "

نظرت إليه و عيونها محمرة من الدموع و الحزن ..

" خذ هذا و إتبعه ستعرف الى أين أخذه لكن بسرعة قبل أن يعود ذلك البغيض !!.. أسرع .. "

" لكن .. كيف تمكنت ..؟؟ "

" لا يهم كيف .. إعتبر أنه أوقعه صدفة .. هيا أسرع قبل أن يبتعد .. "

مسحت عيونها و وجهها من البلبل و أخذت المفتاح من يديه بسرعة ، تسللت في الرواق تتبعها قطرات الوحل ، فتحت الباب بهدوء ، لتبدأ ركض في الشارع عساها تدركهما ، نظرت حولها ، يمناً فيسرى عليها تجد أثراً لهما ، أنهكت بعد ساعات من البحث ، قرفصت تحت عمود الكهرباء في محطة القطار تلهث من شدة الركض أنزلت رأسها بين يديها تبكي بحرقه واضعت رأسها بين يديها لا تسمع غير أنفاسها الهشة و صوته المألوف يصدح في أذنيها كالنغم ، أدركت أنه توقف و تركها عند منتصف الطريق الذي لم تعد تعرف الى أين تتجه بعد .. كانت مصدومة و مغيبة و لم تدرك إقتراب تلك الخطوات منها .

كانت تغط في نوم عميق ، بعد أن كتمتها تلك اليد الكبيرة و جعلتها تغيب عن الوعي ، لم تكن تدري الى أين هي ذاهبة أو مع من؟؟ .. فسلاسل المخدر قد شلت تفكيرها ، فتحت عينيها ببطء شديد بعد هزة عنيفة أيقظتها .. كان صوت المحرك و الاهتزاز كفيلاً بأن يجعلها تدرك أنها داخل مستودع لشاحنة كبيرة ذاهبة بها الى المجهول ، أيقنت أنها ليست لوحدها بعد سماعها صدى صوت المحرك مخلوطاً بأنين الأطفال و بكائهم يتردى داخل المستودع الكبير ، بحثت بعينيها عن مكان فارغ ثم سحبت نفسها بخفة و أسندت نفسها على حديد المستودع البارد عانقت ساقها بتوتر ثم همست تسأل الفتى الذي كان يجاورها

" هاي .. الى أين نحن ذاهبون؟؟ .. "

رفع الفتى كتفيه بجهل و عاد لقضم أطافره بخوف بالغ بينما إكتفت هناء بالنظر الى بقية الاطفال في صمت و ترقب . توقفت الشاحنة فجأة في مكان ما ، و فتح الباب الحديدي على مصرعيه ليدخل منه نور خافت يتبعه صوت قوي خشن و يد تدق على حديد العربة بقوة ..

" هيا .. فالينزل الجميع .. هيا .. هيا .. لا داعي للخوف .. هناك أكل و ملابس فالداخل .. هيا يا صغار .. الأمطار تنهمر و البرد قارص .. "

كانت أول واحدة تنزل ليتبعها الآخرون ، دخلت عبر بوابة ضخمة مزركشة الى منزل كبير مترف و قفت تتأمل كل جانب فيه حتى الثرية الكرسنالية المتدلالية من السقف ، توقفت ما إن صدها باب غرفة زجاجي ، فتح الخادم الباب لتقابلها مائدة طويلة تصطف عليها أشهى

المأكولات و ربما ما لم تراه في حياتها كلها ، حتى الفواكه من كل صنف ، كؤوس زجاجية يتبعها جند من الملاعق و السكاكين الذهبية الامعة ، نقلت نظرها على الجانب لتقابلها خزانة زجاجية تحوي أواني فضية تبدو ثمينة جدا ، تقدمت بروية تنظر هنا و هناك لكن تدافع الصبية نحو الأكل صدمها بجسد الخادم الواقف في صمت على جانب المائدة ، أحست بألم يعتري قدميها فسحبت كرسيها حتى تريح نفسها لكن أحد الصبية دفعها و أخذه منها لم تجد غير إطار الباب لتستند عليه ناظرة للفراغ تستذكر أخر صورة لوجه معاذ الهادئ ، مسحت دموعها بكم قميصها المتسخ و الرث و قتما دخل سيد الى الغرفة و بدأ بإلقاء الأوامر بصوت مرتفع جدا ، كان عكس كمال تماما قصيرا نوعا ما أنيقا ، تفوح منه رائحة عطر رجالية جميلة ، بأنف معقوف و عيون سوداء صغيرة ، كانت تتأمله من بعيد و هو يشير هنا و هناك ، و لم تعرف حتى لم تسلل الخوف الى داخلها فجأة

" خذهم الآن الى الحمام .. ليغتسلوا فورا.. غيروا ملابسهم .. بسرعة لا وقت لدينا !!.. هيا تحركوا !!.."

نظرت اليه بينما يجرها الخادم من يديها ، و شعرت ببعض الضيق و لم تسترح نظراتها نحوه مطلقا .. حاولت التملص من يد الخادم و الهرب لكنه أمسكها من ياقتها فجأة ..

" الى أين تهرب..؟ ألم يعجبك المكوث معنا؟؟"

لم تعلق هناء على كلام الرجل الغامض و إكتفت بالنظر إليه بطريقة غير مريحة بينما نزل على ركبته ليحدثها بهدوء أكثر

" ألن تجيب؟؟.. لم لا ترد؟؟ لم تحاول الهروب؟؟.. أخائف؟؟.. أم أنك أبكم و لا تستطيع التحدث !!"

" أنا لست أبكما أستطيع أن أتحدث كما ترى !!.. أخبرني أنت لم أحضرتنا الى هنا جميعا؟؟"

" أردت أن أساعد قليلا وحسب !!.. هيا لتستحم أولا.. ثم نتحدث لاحقا.. ما رأيك !!"

" لا شئئ بالمجان .. هذا ما أعرفه من التشرد.. أخبرني أنت ما المقابل؟؟ لن أتحرك من هنا إن لم أعرف مرادك الحقيقي ..ماذا الذي تريد مني؟؟ .."

"..أنت...!! خذه من هنا .. هيا تأخر الوقت !!.. " حاول الخادم إمساك هناء من ذراعها لكنها هربت فإتجاه الطاولة و حملت شوكة لتدافع بها عن نفسها ..

" اخبرتك أنني لن ابارح مكاني الى أن أعرف !!.. تحدث .. من أنت؟؟ و ماذا تريد !!.. و الا !!.."

حاول الخادم للتقرب من هناء و إمساكها لكنها جرحت يده بالشوكة الحادة ..

"إهدأ .. و الا ستأذي نفسك !!.. هاتها الى هنا .. لن يؤذيك أحد .. هيا كن مطيعا .. "

" لن أفعل .. لن أكون عبدا لك ، لن أخضع لإمرتك مطلقا .. أنا لست ملك أحد .. إبتعد عني و دعني أرحل"

كانت ترتعد من للخوف و هي تحمل الشوكة محاولة المرور بين الطاولة و الخادم والرجل الغامض الى أن سمعت تصفيقا صادرا من خلفها ..

" هذا جيد!!... أعجبني رد فعله ..!! أنه حذق للغاية ..!!"

شهرت هناء الشوكة بأصابع مرتجفة في وجه الرجل العجوز ذا العيون الزرقاء ..

" من أنت؟؟ .. هل أنت سيده ..!! أخبره أن يدعني وشأني .. أريد الرحيل .. "

أمسكها الرجل من يدها مباغطة و سحب منها الشوكة و هم بصفعها على وجهها ..

" أنت ايها ..!!"

" علي ...!! "

نظر علي الى سيده ياسين ثم أنزل يده بسخط و وجل ، بينما تابع ياسين الحديث ..

" تعال أيها الفتى الى هنا !!.. أريد أن أتحدث معك .."

إقتربت هناء بأرجل ترتطم ببعض و جلست بجانب ياسين على الكنبة فيما أشعل سيجارة دون أن يدخنها

"لكن سيدي !!.. إنه ... " أشار ياسين بإصبعه نحو علي ليسكت و هم بمحادثتها ..

" أنت ذكي يا فتى .. لهذا سأخبرك بسبب وجودك هنا .. الحقيقة أنني سأقيم إختبارا تقييما لكم .. أقصد لك و باقي أصدقائك .. و من ينجح في الأخير ستكون هناك جائزة في إنتظاره .. "

" أحقا !!.. و ما هي؟؟ " لمعت عينها غبطة و فرحا ..

" لن أخبرك الآن .. أولا عليك أن تطيع السيد علي في كل ما يقوله ، و أن تتجاوز الإختبار بنجاح ، وبعدها يمكننا التحدث .. "

" حسنا .. أنا جاهز .. لنبدأ .. "

نفخ ياسين دخان السيجارة بعيدا في الهواء " أممم.. متحمس!! .. أولا عليك أن تستحم لا يجب أن تجتاز الإختبار بتياب و رائحة كهذه ..الأ تظن؟؟.. ولأني أعجبت بذكائك سأطلب من الخدم أن يجهزوا لك غرفة لوحده تستحم و ترتاح فيها الى يوم غد .. ها !! ماذا قلت أم أنك مازلت مصرا على رأيك؟؟.."

" لا لا .. سأفعل .. شكرا لك .. أعدك اني سأنجح في الأختبار .. " ابتسمت بسعادة

" خذه الى الغرفة العلوية و أعطه ما يلزم و دعه يرتاح هناك الى يوم غد .. "

تبعث هناء الخادم الذي أماء برأسه فيما تقدم علي من ياسين مؤنبا ..

" سيدي .. ما أريد قوله .. أن .. ما تفعله ليس صائبا .. إنها غرفة .. "

" لجين .. أعرف .. لكنني أعجبت بحنكة الفتى ، و أريده أن يشعر بالراحة التامة .. لأنني سأبدأ بالخطوة الثانية من الخطة "

" هلا عرفنتي على ماذا تنوي سيدي؟؟ لأتمكن من المساعدة و تنفيذ المطلوب؟؟.."

" بالمختصر سأقوم بأخضاع هؤلاء الاطفال الى تمارين رياضية ، قتالية و إختبارات تخص الذكاء أيضا، أين سيخضعون في نهاية كل مرحلة للتقييم و الناجح منهم .. ستقوم بتبنيه على أنه ابن لك .. "

" أتبناه؟؟ "

" نعم هل هناك مشكلة؟؟.."

" لا .. لا سيدي فقط أريد أن أعرف لماذا؟؟ .. أنت تعرف أنني لن أرفض لك طلبا مطلقا .. "

" جيد .. أريدك أن تتبناه لأنني سأحتاجه فيما بعد لتنفيذ خطتي بينما أنا أكون مخفيا عن الأنظار .. "

" لم أفهم ذلك جيدا .. أرجوك وضح سيدي؟؟.."

سحق ياسين السجارة في المنفضة و هم واقف .. " دعنا لا نستبق الأحداث .. فالإختبار ليس سهلا كما يبدو لك .. لأنني أريد الأفضل في كل المجالات .. أمفهوم ..؟؟.."

أماء علي برأسه إجابا .. بينما تابع ياسين ..

" نبدأ الإختبار الأول على الساعة الرابعة صباحا و أريد منك أن تخبر الأطفال بما أخبرت به ذلك الفتى حتى يتحمسوا ، أما التقييم فستكون أنت المسؤول عنه .. "

ربت ياسين على ذراع علي بقوة و هو مغادر نحو غرفته " لا تنسى أريد الأفضل .. الأحسن .. و الأقوى"

" لا تقلق سيدي .. دع الأمر لي .. إرتاح أنت الآن .. سأقوم بما يلزم .."

صعد ياسين السلالم نحو غرفة إبنته التي سكنها بعدما غادره أعز شخصين لديه .. و جلس على كرسيه للهزاز و هم يسبح داخل ذاكرته من جديد ..

أمسكت بقميصها الرياضي و سحبته للأمام ليصبح الرقم خمسة واضحا نظرت إليه مطولا ليقع الحزن داخل عيونها وقتما تذكرت معاذ ستفوز فالجائزة أكيد ستكون كافية لتخرجها مما هي فيه و لاح على مخيلتها وجه علي أثر تلك المكالمة و الواضح أنها كانت من الرجل العجوز، تذكرت نبرة صوته و إهتزازة ، تنهده وقتما دس الهاتف في جيبه بتعب و تعرق واضح ، استنفرت وقتما صاح بقوة أمرا العشرين مترشحا المتبقين

" على الفتيات الموجودات وسط المجموعة أن يتجمعن من هذه الناحية (و أشار الى يساره) و بقية الذكور يبقون كما هم .."

ترددت قليلا ثم حزمت أمرها في أن تتبع طبيعتها و تجتمع مع بقية الفتيات بعد تعديل رباط حذائها الرياضي المفتوح، فيما تجمعت البقية الفتيات حسبما أمرهم السيد ..

" يؤسفني ما سأعلن عنه الان .. الفتيات لن تستطعن الصمود فيما تبقى من المسابقة لذا هن معفيات ، يمكنكن المغادرة و ستحصلن على طعام واللباس مجانا .. "

أشار علي بعد التصريح للخادم حتى يقودهن الى المخرج فيما تتبعهن نظرات الفخر و الإستصغار من الفتية لم تعرف ما إذا كان عليها أن تتبعهن أم عليها الإستمرار في صمت ، حدثت نفسها هامسة ..

" لو أن ذلك الرجل العجوز لم يمنحني الغرفة لكشف أمري ورحلت معهن الان .. " عادت الى حاضرها بعد رحلة شرود عابرة بعد أن إنقبض قلبها إثر الحيرة و الخوف من المجهول ..

" و ما العمل الان ؟؟ .. إن كشفت فسأخرج من المسابقة أنا لا أستطيع العودة لحياة التشرذم، سيمسكني كمال و يوسعني ضربا ..ماذا أفعل ؟؟ "

إصطدم بها بأحد الفتيان عمدا صارخا في وجهها " هل أنت أعمى الا ترى ؟؟.. " لم ترد عليه فقام بدفعها لترتمي على الارض و جرح ذراعها الايمن و إتسخت ثيابها ، كزت على أسنانها في غضب " لم فعلت ذلك ؟؟ لم دفعتني مع أنك أنت من إصطدم بي !! .. هل أنت أصم الا تسمع .. هاي أنت ؟؟"

إلتفت إليها بينما وقفت تنفض بعض الغبار الملتصق في يديها و ثيابها " ماذا قلت ؟؟.. أعد ذلك !!"

أجابت و هي تنظر اليه متحدية دون خوف .. " أنت الأعمى الذي إصطدم بي و لست أنا ؟؟.. " " كيف تجرأ يا هذا ؟؟.. سأعلمك درسا لا تنساه !!.. "

حاول الأمسك بياقتها ليلاكمها على وجهها لكنها تملصت منه فجأة بينما تجمهر بقية الفتيان حولهما

" لن تفلح في ضربتي ، فلا تحاول .. كما أنني لست خائفا منك!!" " سنرى رأيك بعد .. (و لكمها على وجهها بقوة جرحت شفتها السفلى و سألت منها قطرات من الدماء..) هذا ..!! "

تراجعت هناء للخلف تضع يدها على فمها لتتفجر غضبا و سخطا " كيف تجرأ على ضربتي يا هذا ؟؟ سأريك من أكون .. "

و قفزت فوق ظهره فجأة ، تجتث شعره من رأسه و تعض أذنه منهالة عليه بالضرب دون توقف تحت صيحات التشجيع و التهليل من البقية ..تمرغا في الوحل و المياه الراكدة على الأرض و إتسخت ثيابهما من ألوان الدماء و تراب ، صاح علي من خلفهم ..

" ماذا يجري هنا ؟؟.. لم كل هذه الضوضاء ؟؟"

لكنها لم تتركه بل جلست فوق بطنه تضربه بقوة أكبر بعد أن تعب و إستسلم و صاح يطلب النجدة حتى يخلصه أحد من بين يديها

" توقفا !!.. (لم تصغ إليه من شدة الغضب) .. قلت توقفا !!"

سحبها علي من ذراعها و صفعها على وجهها بقوة جعلتها تدوخ و ترتمي على الارض جالسة فارهة الفم

" عندما أقول توقفا أنا أعني ذلك !!.. أمفهوم !!.. و لأنكما أغضبتماني أنتما معفيان !.. غادرا الان !!.."

قبعت في مكانها تتحسس الكدمات التي ملأت وجهها و ذراعها صاح الفتى مترجيا ..

" انا أسف !! أرجوك سامحني لم أسمعك جيدا .. أرجوك لا تطردني !!.."

نظر علي باتجاه النافذة التي كانت ستائرهما مرفوعة فيما أماء له ياسين المستند على حافتها ..

" حسنا.. بما أن أخر مرحلة تكون خاصة بالقتال و أنتما سبقتماني بها، حسب ما رأيت أنك هزمت على يد الرقم خمسة و عليه أنت مقصي في الحالتين لهذا ستغادر .."

إتسعت عيناها بهجة على وقع الخبر لكن نظرات علي المتوعدة جعلتها تخفي بصرها في الأرض ..

" لن تغلت من العقاب لما فعلته أنت أيضا ، لكنك قوي و لهذا ستبقى .. كانت الصفحة أخر انذار لك .. لا فرص ثانية بعد الآن .. أمفهوم !!"

وقفت تجيبه بسرعة .. " أنا أعتذر !!.. شكرا لك .."

"أمم .. إذهب الى الممرضة لتطيب جروحك و إغتسل سنتحدث لاحقا .."

ركضت في الفناء و دخلت الغرفة المخصصة لها إستحمت و غيرت ثيابها بأخرى نظيفة و نزلت الى غرفة في أخر الرواق أين كانت الممرضة تنتظرها ..

" أدخل !!.."

تذكرت حواف الحقن و وخز الجروح عند تعقيمها فبلعت ريقها و دخلت بخطوات مختلطة و أغلقت الباب خلفها .. همت بالخروج بعد أن أتمت الممرضة عملها لكنها تجمدت فجأة ..

" فتاة مثلك لا يجب أن تتعارك مع الصبية هذا لا يجوز فجسمك صغير و حساس، عليك أن تنتبهي أكثر حتى لا تسببي لنفسك الأذى .."

تجمع اللعاب و الكلام في حنجرتها تحولت الى تمثال حينما أدركت أن سرها كشف و أنها ستخسر المسابقة ستعود الى حياة التشرذ و الى كمال أيضا ، لا بل الأسوء أن يظن السيد أنها قد كذبت عليه ماذا سيكون مصيرها ..

جلست على الكنبه تجاور آخر صبيين ناجحين تجمع يديها ، مطأطأة الرأس تبلع الخوف وتوجس متخيلة أسوء ما سيحدث معها ..فتح باب الغرفة فثبتت أنظار الثلاثة على الوافد الجديد و الذي لم يكن غير العجوز ياسين ، وقف ينظر إليهم واضعا يديه على خصره تتنفس الغبطة من وجهه المجعد بينما تبعه علي بخطوات ثابتة لمحت نظرتة إليها من جانب عيونه الكبيرة ..

" إذن .. هؤلاء الفتية هم الأفضل من بين كل أطفال الشارع .. "

" نعم سيدي الفتيان و البنت (و أشار نحوها) هم من فازوا بالإختبارات ككل "

" ماذا تقصد بالفتاة؟؟ .. " صرخ ياسين بوجه علي بقوة غاضبا بينما إنتفضت هناء في مكانها من الفرع

" أعتقد أني كنت صريحا في ما أمرتك به و أنت .. "

" أنا أعتذر سيدي لكني لم انتبه فهي لم تكن توشي بأي تفصيل على أنها فتاة .. "

" أخرجها فورا .. " أمسكها ياسين من ذراعها و دفعها نحو علي الذي تلقفها مثل كرة سلة ..

" سيدي أسمعني .. لو سمحت .. إنها من بين الأفضل هنا كما أنها فازت بجميع الإختبارات بتفوق ، كما أنها أخفت هويتها و لم أستطع أنا نفسي إكتشافها "

هدأ ياسين بينما بدأ يعجن مخططه من جديد ثم نطق بعد صمت دام لدقائق .. " حسنا سنتبناها أنت، ولكن ستكون تحت إسم ذكر "

لم تستوعب ما يدور حولها فيما أردف علي " لم أفهم قصدك سيدي .. "

" سأخبرك فيما بعد ، الآن نفذ ما طلبته منك دون نقاش ، كما ستسجل هاذين الصبيين تحت إسم مستعار أيضا .. "

" سيدي !!.. "

بأشارة من يد ياسين توقف علي عن الكلام ثم وجه خطابه الى الصبية " غادروا الان .. سننادي عليكم ما إن ننتهي من الحديث .. "

جرت قدميها أمامها مغادرة مع الصبيين فيما دخل كل من ياسين و علي الغرفة و ما إن دخلا حتى إرتمى ياسين على الأريكة مشعلا سيجارته من جديد ..

" سيدي .. لم تجبني بعد .. لم أستوعب شيئا من ما قلت سابقا .. "

" أنت تسأل كثيرا ..!! لم انت قلق الى هذا الحد؟؟ "

" لا .. على الإطلاق سيدي .. أنا فقط ... "

" أ حقا؟؟؟؟ .. "

" اجل سيدي !! .. أنا ..!! "

" المهم ...أخبرني مصدر أن حسن جاء بصحبة فتاة صغيرة ذات الثلاثة سنوات ، و على الأرجح أنها إبنته من عشيقته التي ترك .. إبنتي مي بسببها .. لهذا أحتاج جاسوسا .."

زادت علامات الحيرة على وجه الخادم ما جعلت ياسين يزفر

" ما بك ؟؟ ألم تستوعب بعد ما أريد قوله ؟؟"

" الحقيقة .. سيدي أنا لم أفهم ما المطلوب مني بالضبط .. "

" حسنا حسنا .. أريد أن أزرع أحد هؤلاء الفتية في بيت حسن حتى أعرف عنه كل شيء ، لأقتص منه لاحقا .. أ مفهوم الآن ؟؟"

" لكن ما الذي سيدفعه الى أن يأخذ أحد هؤلاء الصبية ؟؟ .. أقصد أنني لو كنت مكان حسن لكان ما فكرت به هو ضمان حماية لابنتي .. "

" أمم !.. و ستكون حمايتها مسؤولية تلك الفتاة .. ما كان إسمها ذكرني ؟؟ .."

" إسمها هناء على ما أظن "

" هناء ... أمم ... (نفت دخان سيجارته عاليا) .. ها .. هاني .. ستصبح إبنتك المتبنى هاني "

" لم تجبني سيدي .. كيف س..؟؟؟ "

" سأجعل من إبنتك المتبنى مرافقا لابنة حسن مدى الحياة ، عليه أن يكون أهلا لثقة ، قويا أيضا "

" تحت أمرك سيدي .. "

" جيد .. أريدك أن تمحي هويتها كأنثى ، عليها أن تصبح ما أحتاجه لهذه المهمة و لن أسامحك على أي خطأ يحصل .. ، إفعل كل ما يلزم !عليك أن تمحي هويتها تماما حتى و أن اضطرت الى قتلها داخلها .. عليها أن تفهم أنها دخلت بيت العقرب و أنها يجب أن تلتزم بالقوانين .."

" حاضر سيدي .. "

" علي ! جهزها جيدا ، عليها أن تكون قوية حضر جدولا لتدريباتها القتالية و الرياضية .. أنا أعتمد عليك في هذا .."

" لا تقلق سيدي .. ستكون جاهزة .. هل هناك أمر آخر ؟؟"

" لا شكرا .. سأرسل في طلبها قريبا ، عليك أن تستعجل .."

" أماء علي برأسه " ماذا عن الفتيان ؟؟ .."

" أنا سأندبر أمرهما .. إهتم أنت بهاني .."

" حاضر سيدي .. كما تأمر "

طحن ياسين السجارة في المنفضة وإرتدى في أحضان ذاكرته المتربة من جديد ..

بعد أيام ..

في السيارة السوداء تعد كل متر تقترب فيه نحو هاوية المجهول ، كان عليها أن تموت حتى يعيش هو ، الخوف الذي يعيش في عقلها و قلبها، كان يزيد من بؤسها و تخيلاتها ، دروس علي القاسية كانت كفيلة بأن تعرف أنها وقعت في بؤرة العبودية ، أنها عالقة في خيوط العنكبوت و لن تقوى على الهروب هذه المرة ، إسترجعت كل حرف من كلامه لها ..

" إن كشفت أو تهاننت .. ستموتين! .. "

إهتزت مع صدى أخر كلمة لها و حتى تنتبه أن السيارة توقفت عند باب قصر ضخم فتح أوتوماتيكيا .. ثم إستمرت بالتحرك لبضعة أمتار قليلة للأمام لتصطف عند الباب الزجاجي ، عدلت هندامها الرجولي وخطت أولى الخطوات نحو عالمها الجديد لتقابلها إبتسامة الخادمة التي فتحت الباب بهدوء و روية ..

" أهلا !! تفضل .. "

مشيرة بيدها الى الداخل، بخطوات ترتد خلف بعض إتجهت برفقة الخادمة الى الصالون و جلست هناك منتظرة الى أن سمعت نغمات الحذاء النسائي النازل من السلالم بروية كانت المرأة في ريعان الشباب بتنورة قصيرة زرقاء و قميص اصفر ، وجه مشرق بإبتسامة تكشف عن أسنان ناصعة البياض لوهلة حاولت تخيل وجه أمها الذي حرمت من رؤيته تساءلت في أعماقها كيف سيكون وجهها يا ترى؟؟.. هل كانت ستكون أكثر جمالا من هذه المرأة الواقفة بجانبها؟؟ هل سيكون صوتها هادئا و ناعما مثلها؟؟.. غابت في بحر من التخيلات و الشرود بعيون مفتوحة تنقطر فراغا و حزنا..

" هيا .. لا تخافي .. إنه مجرد صبي صغير.. ليس مؤذيا إطلاقا!! .. "

توقفت الفتاة الصغيرة المختبئة خلف مربيتها عن الإلتصاق بأرجل مربيتها و إقتربت بخطوات خائفة نحو هناء لتمحص النظر فيها .. " هل ستكون صديقي مثلما قالت مربيتي؟؟.. "

هزت هناء برأسها إيجابا ، لتقفز الفتاة نحوها و تعانقها ..

" هذا جيد... ستكون أخي من اليوم ..!! "

" أميرة .. أحسنني السلوك !!.. "

" أنا سعيدة سيكون لي أخ !.. أخبرني .. ما إسمك ..؟؟ "

" ه.. " توقفت وقتما أدركت أنها اللحظة التي ستموت فيها ، لتصبح ما أراده العجوز ، غمرها اليأس حينما تذكرت القانون الذي يحكم اللعبة و أن عليها أن تنصاع لتستمر تنهدت بعمق ثم تابعت .. " هاني .. إسمي هو هاني أنستي و سأكون تحت خدمتك .. "

" ليس أنستي .. إسمي أميرة .. أنا أدعى أميرة.. و ستناديني به إتفقنا فنحن إخوة .."
نظر هاني فإتجاه المربية التي أماءت له إيجابا .. " حسنا .. كما تريدين أميرة .. أنا هاني .. و سنبقى سويا .. إذا أردت ذلك بالطبع .."
قفزت تعتلي ذراعها .. " هذا رائع .. رائع جدا .."

تقف أمام مرآتها المستديرة المعلقة على جانب الغرفة تهذب شعرها الأشقر النافر ، تسأل عيونها الخضراء الصغيرة هل تملك جزءا من جمال أمها ؟ ، نحتت السنين جسدها الانثوي الرقيق ، فقط لو أن أباه يشبع من فضولها القليل ، ليته يعرف أنها لم تعتز إلا كلمة "أمي" ، و ككل يوم تجلس بجانبه تحديق فيه بصمت عسى أن تجمع جيوش الشجاعة لتسأله عنها ولم يخفي حقيقتها عنها ، حتى أنها لا تملك صورة لها .. كانت شاردة بين المشط و شعيرات رأسها الى أن إنتفضت على صدى وقع الصفحة ..

" لم لا ترد ؟؟ .. كيف لم تنتبه .. أخبرني !!"
" أنا أسف سيدي .. كان مجرد سهو مني .. لن يتكرر هذا أنا أعدك .."
نزلت السلام صارخة لتحول بينهما " أبي !! إنه لم يكن خطئه .. أنا .."
" لا أريد سماع شئ منك .. الى غرفتك !!.."
" لكن ..!! "

" للمرة الألف أقولها .. لا تدافعي عن الخدم !! .."
"..و إن كان خادما .. إنه بشر أيضا !"
" لن نعيد نفس النقاش ثانية .. الى غرفتك فورا !!"

إنطفأت نظرتها و إنسحبت تجر أقدام الخيبة خلفها لتجلس في أعلى السلم تسترق السمع و البصر في صمت و تحصر فلم تستطع أن تدافع عنه رغم أنه يعاقب على طيشها و أخطائها في كل مرة تنهدت في يأس ..
"..هاني !!"

الصديق والأخ الوحيد الذي تملكه، لا تستطيع أن تقف الى جانبه ككل مرة، ألمها تذكر قطرات الدماء المتدفقة من جبهته و قبضة يده أثناء دفاعه عنها.. لم لا يحاسبها أحد ؟؟ أليست من أخطئ ؟؟..لم يجعله والدها تعيسا هكذا ؟؟ تجاهله لأخطائها جعلها كقطعة من الأثرية التي يحفظها في القبر بعناية ، عادت بذاكرتها باحثة عن بسمة له أو حتى لحظة سعادة عابرة عاشها فلم تجد غير سنين من الأذى و القسوة، صدى كلمات والدها مازال يرن في أذنها وقتما كانت تحاول أن تدافع عنه..

" لا يجوز أن تدافعي أو أن تتقربي منه ، إنه مجرد خادم موجود فقط لحمايتك لا غير !! ..
ليس بمرتبتك و بعيد كل البعد أن يكون أخا لك !!.. "

وقتها قرر والدها أن يطرده من المنزل ، ما جعلها تتراجع عن رأيها و تصعد الى غرفتها
باكية ليتبعها هاني ، جلس على حافت سريرها فيما تفادت النظر إليه..

" أنا أسفة ..!! "

" أميرة !!.. "

" بسببي أنا عوقبت بقسوة .. لم أقوى عن الدفاع عنك .. "

" أميرة لا تشعري بالسوء .. أنا بخير .. "

نظرت اليه عن كثب " ألسنت منز عجا مني؟؟ "

أكتفى بأن يميئ برأسه نفيا فيما تابعت .. "ألا تشتكي؟؟ .. ألا تملك ما تشكي منه أو تتذمر عنه
"

" لا .. "

" و ماذا عن ما قاله أبي؟؟ "

" أميرة !.. أرجوك لا تنزعجي مما قاله والدك.. إنه محق أنا .. "

" أنت أخي و صديقي ، و هذا يكفي !.. لن أنتازل عنك مطلقا ، و لن أنصاع لأمر والدي و
سترى !.. "

" لكنك ستأذيني هكذا!.. سأعرض لطرده و لن أبقى معك و سيحل محلي شخص آخر .. "

بدأت بالبكاء و هي تقول .. " لكني .. أريدك اخالي !! أنت صديقي الوحيد !! أنا .. أنا .. "

أمسكها من ذراعها و أجلسها على ساقيه الصغيرتين .. " تعالي .. إهدئي و دعيني أتحدث
حسنا ..!! "

أماءت برأسها نحوه ، بينما تابع هو ..

" سأكون أخالك ، و لن أتخلى عنك .. لن أسمح لأحد بأن يؤذيك .. هذا وعد مني "

لكنها لم تتوقف عن البكاء تنهد و تابع .. " أتعلمين؟؟ .. لقد كنت أملك أخا في مثل سنك .. "

توقفت عن البكاء و نظرت إليه باهتمام " كان اسمه معاذ .. كان يحب أكل البيتزا كثيرا ، أ
تعلمين ماذا كنت أفعل عندما كان يبكي؟؟ "

" ماذا؟؟ .. "

أخرج حبة شوكولاتة من جيب بنطاله البني و ناولها إياها

" كنت أعطيه هذه و أغني له تهويده الى أن ينام .. "

" و هل ستفعل ذلك من أجلي؟؟ .. "

" أكيد !!.. أنت أختي و سيكون هذا سرنا الصغير ما رأيك؟؟ .. "

عقدت ذراعيها على رقبته الصغيرة بفرح و رضى فيما غنى لها تهويده أبكت كلماتها عيونہ ..
تذكرت كيف كانت تلتصق به تلك الليلة لدرجة أنه نام جالسا يحملها بين ذراعيه ..

" لم لا تشربين قهوتك يا أميرة؟؟ "

نظرت الى شيبات والدها بسهو و شرود واضح و تمتت من بين شفاهها
".. أسفة أبي فقط شردت قليلا ، كما أنني لا أشعر بالجوع .. " وعادت تنتظر الى فنجانها
وكعكتها في حزن فيما نقل حسن نظره الساخط الى هاني الذي بلع قهوته المكومة في فمه
بصعوبة

" أ هناك ما يجب أن أعرفه يا هاني؟؟ .. أية مشاكل؟؟ "

تفطنت لما يجري فأسرعت بالإجابة عنه .. " أبي لا تقلق ليس هناك مشاكل.. أن هاني يقوم
بعمله على أحسن وجه .. ما أفكر به هو الثانوية الجديدة "

بلعت ريقها بصعوبة و أردفت تسأل " أبي؟؟ .. "

"أممممم؟؟؟.. "

"لم؟؟؟ لم غيرت ثانويتي؟؟ .. كما تعرف أنني أفضل القديمة و.. "

عاد حسن الى بلع قطع الكعك التي أمامه ..

" سنتعودين و تكوينين صداقات جديدة كما أن هاني معك .. "

" لم يتبقى لي إلا هذه السنة لأتخرج بعدها و ألتحق بالجامعة .. ألا تظن أنه ..! "

وقف حسن بفارغ صبر .. " ..أسرعي لقد تأخر الوقت !! ، سيوصلكما السائق الى الثانوية
.. "

ورمى منديل الأكل بقوة على الطاولة و غادر دون أن ينظر في وجهها بينما طأطأت رأسها
بحزن غامر بينما تطالعها عيون هاني التي لم تعد تقوى على النظر نحوها ..

" هاني؟؟ .. "

" ماذا هناك؟؟ .. "

" أتعنقد أنني سأبلي حسنا؟؟ .. ما أقصده .. الحقيقة .. يغمرنى شعور سيئ حيال هذه الثانوية
!! "

" أكيد ستكونين الأفضل و لا تقلقي انا معك في كل خطوة .. "

نظرت نحوه باسمه " أكاد أقسم أنه لو كنت أملك أما لكنت أنت أحن و أطيب منها .. أتعرف
؟؟ .. "

إتسعت عيناه فجأة ثم رد في حزن و هو يقف مبتعدا عن كرسيه .. " هيا لقد تأخرنا .. "

و حمل محفظته و هم خارجا .. " إنتظرنى !!.. "

سحبت محفظتها هي الأخرى و ركضت لتلحق به في الرواق ..ركبا السيارة أين جلست أميرة في الخلف أما هاني كان بجوار السائق همست في أذنه اليمنى ..

" هاني أخبرني.. "

أجابها بهمس هو الآخر " أخبرك ماذا؟؟ "

" .. أ تظن أنني أشبه أمي؟؟ "

" لا أعرف ربما !!.. "

".. أ تظن أن كل الأمهات متشابهات؟؟ "

" و أنا ما أدراني؟؟ "

" هيا .. لا تكن لئيما !! "

" حسنا بما أنني لم أملك أما .. ربما !! .. "

" أ تعرف أنا أريد أن أرى أمي ، و أعرف ما إذا كنت أشبهها "

" أحم !! " ادعى السائق السعال حتى يتوقف هاني عن الحديث و تنسى اميرة موضوع أمها ليغير مجرى الحديث " لقد وصلنا أنستي .. هذه هي الثانويتك الجديدة .. تفضلي لو سمحت .. "

خرج هاني و فتح باب السيارة لتنزل منه أميرة بخفة .. " شكرا لك .. "

تقدمت أميرة يتبعها هاني بتملل و شرود ..

" أمي؟؟ .. و هل أعرف من تكون أمي؟؟ .. لو كنت أعرف من تكون لكنت حرة ، لكان لهناء وجود كنت سأرتاد الثانوية و كلي فخر أنني فتاة لا ذكر خائفا من أن تكشف حقيقته .. "

توقف فجأة " ... هل سيكون هناك يوم ما؟؟ " نظر الى السماء بيأس غامر و الدموع تتراكم في عينيه ، الى أن سمع صراخ أميرة تحذره ..

" هاني .. إبتعد .. !! هاني .. "

كان يسد مدخل المدرسة و لم ينتبه الى مجموعة الدراجات الهوائية القادمة المتجهة نحوه في سرعة كبيرة، إرتطم بمقود إحداهما فيما كان يحاول أن يتفادى البقية ووقع أرضا كما فقد سائق الدراجة توازنه ووقع أيضا ..

هبت أميرة راكضة نحوه لتطمئن فيما جلس مكانه يتحسس مكان الخدش الصغير على ذراعه

" هل أنت بخير؟؟ .. أرني !! " رفعت ذراعه " .. إنها تنزف؟؟ .. هيا الى الممرضة !! "

" لا تخافي .. إنه مجرد خدش بسيط .. سأعقمه لاحقا .. "

" أفعلا !!.. و ماذا عني أنا؟؟.. ألم ترى هذا؟؟" و أشار الى نزيف أنفه

إنتبها الى صاحب الصوت المرتمي أمامهما و تحديدا الى كسر أنفه و الدماء المتناثرة على ثيابه ، تجاهل هاني ما حصل ووقف في عدم إكتراث ينفض الغبار عن ملابسه ، ثم رمى محفظته على ظهره بعشوائية مغادرا ..

"إذهب الى ممرضة لتفحصك !! " و نظر ناحية أميرة " هيا فلقد تأخرنا عن الدرس "

وقفت أميرة تتبعه في عجل فيما صرخ الشاب ..

"هاي أنت؟؟ أيها المتبجح !!.. أستغادر هكذا دون أن تعتذر لي؟؟ "

إستدار هاني نحوه " و لم أفعل؟؟.. لم أكن أنا سبب جرحك بل سرعتك "

وقف بصعوبة و هجم عليه يمسه من ياقته بقوة " أيها الحثالة !!.. لقد كسرت أنفي بسبب وقوفك كالأبله وسط مدخل الثانوية والأن تقول أنه ليس بسببك؟؟ إعتذر و إلا !!.. "

دفع هاني الشاب بعيدا عنه" أبعد يديك عني .. أنا أكره من يمسكني من ياقتي .. "

" و أنا لا أترك حقي مهما كان !!" ضربه بقوة على وجهه جعلت شفته تنزف و خده يزرق " الآن نحن متعادلان .. يمكنك الرحيل!! "

كان هاني على وشك الانفجار حينما سامع أخر تهكماته " هذا لأنك لم تعتذر .. فلنفل أننا سوينا الحساب!! متفاجئ؟؟.. اه.. لا تنظر إلي هكذا .. أنت من بدأ و لم تعتذر ف..!! "

إستعر هاني غضبا و كوم قبضته لكن اميرة حالت بينهما تترجاه أن يتراجع عن الشجار " هاني !! أرجوك .. توقف ! يكفي هذا .. أرجوك من أجلي !.. أرجوك هيا لنغادر !!.. "

لم تحد عيناه عن الشاب الذي إستمر بإستفزازه بينما تسحبه أميرة من ذراعه حتى يبتعدا . كانا يتجهان الى القسم بعد أن مرا على مكتب المدير لإنهاء معاملات الدخول ،لم يهدأ غضب هاني و لا باله بل كان يغوص في التفكير بينما يتحسس شفته النازفة في وقت كانت فيه أميرة تثرثر دون توقف لم يهتم بالرد عليها فقد كان صدى الرواق كفيلا بأن يؤنسها . إختارت أميرة مقعدا بجانب النافذة فيما إختار هاني أن يجلس خلفها، سحب كرسيه و هم بمسح الغبار عنه حتى يجلس عليه ..

" هذا مكاني يا هذا !!.. "

كان الصوت مألوقا يطرق ظهره ، أشاح بنظره ليشتعل غضبا حينما نظر الى صاحب الصوت

" بالطبع لم يجد غير هذا القسم حتى يدرس فيه .. صبرا .. حتى لا أحطم رأسه .. صبرا !!" تتمم زافر بحق وعاد لما كان يقوم به متجاهلا من يكلمه

" قلت إبتعد و بحث عن مكان آخر فهذا مكاني أنا .. ألا تسمع؟؟.. " ثم دفعه بقوة و ركل الكرسي ليقع على الأرض ، لكن هاني تنهد و تحرك بصبر لأخذ كرسيه مجددا و جلس دون أن ينطق ببنت شفة..

قدح الشر في عينيه لأنه تجاهله فأتجه الى أميرة يطلب منها تغيير مكانها لكنها لم ترضى فسحبها من جديلة شعرها لكن ركلة على ساقه و لكمة أخرى على وجهه ليقع أرضا متألما ، ليتبعه صوت هاني البارد

" أميرة!!! ممنوع الإقتراب منها!!! .. أي حديث لها يكون معي أنا لا هي...!!"

" أيها...!!" كان ينوي شتمه لكن برعت في رأسه فكرة إنشقت إثرها إبتسامة تعلو ثغره

" أممم!.. فهمت الآن .. إنها حبيبتيك لهذا هي مهمة .. لو أخبرتني سابقا لما تعرضت لكل هذا الإحراج"

"هاني!!" أمسكت أميرة بيده تهدئه " أرجوك .. إنس الامر .. لا نريد مشاكل .. إهدأ "

"..هاني؟؟ أنا أرجوك .. " قلد الشاب كلمات أميرة " الأفضل أن تسمع منها .. "

أقلت هاني يده منها و منفجرا " .. ألن تخرس؟؟"

إبتعد عن الأرض و عقد ذراعيه " أنت لا تعرف من أكون .. فعلا أنت لا تعرفني بعد .. "

"و لم يجب علي أهتم بمن تكون؟؟"

إبتعد نحو آخر الصف ما إن دخل الأستاذ " لا تقلق ستعرف من يكون إياد.. إن هذا لن ينتهي هنا!!! .. ستحاسب بعد نهاية الحصة .."

" و أنا في الإنتظار .." سحب كرسيه من جديد و جلس مكانه متجاهلا حديثه، فيما كز إياد على أسنانه متوعدا ..

إنتهت اول حصة و غادرت اميرة بصحبة هاني نحو الحمام أين وقف ينتظرها خارجا لكنه أنتبه الى إياد يشاور له من خلف جدار البهو ، نظرة سريعة تؤكد بها أنه لا أحد مريب يحوم حول الحمامات ، و تبعه في هدوء الى الفناء الخلفي للثانوية ، أين فهم الوضع ما إن لمح مجموعة من الطلاب تنتظره بعصي فالأيدي

" هل أحضرت مشجعين يا .. اياد؟؟" ووضع كفيه داخل جيوب بنطاله الاسود

" من جيد أنك حفظت إسمي لأنني سأجعلك لا تتذكر غيره .."

" أحقا؟؟.. لأنني لا أظن أننا في حصة للتعارف "

" سنرى .. المهم آخر أمنية لك؟؟.."

" لم تسأل؟؟ هل أنا على وشك أن أتلقى قرارا بالإعدام؟؟"

" يمكنك إعتباره قتلا إن صح التعبير .. "

" لا أمنيات لدي .."

" هل أنت متأكد كأن تعتذر على سبيل المثال أو أن تترجاني أن لا ألقنك درسا .."

" هه! .. لا تحلم بذلك حتى .."

" هاي !!..أنت .. ألا تلاحظ أنك لست في موقف يسمح لك بالإستهزاء أو الضحك ، و إذا كنت تظن أن أحد يمكن أن يساعدك هنا فأنت مخطئ .."

تنهد هاني بصبر .. " ألا تلاحظ أنني لا أشعر بالخوف حتى و إن كنت هنا وحدي و أنت..(و أشار الى أصدقاء إياد) معهم !!.."

إستغرب من بروده فيما أرفف متابعا " هل تعرف أمرا؟؟.. لا رغبت لدي في ضرب أحد اليوم .. إقبل إعتذاري .. سأرحل الآن .." و إستدار مغادرا..

ربت إياد على ذراع هاني يمنعه من المغادرة " لن تغادر الى أي مكان قبل أن نصفي حسابنا .."

" إسمع !! لا أنت و لا هم ند لي .. كما أنني لا أريد مشاكل !!"

" أنت ..!!"

و هم بقية أصدقاء أياد بأمسآك هاني ليشلوه عن الحركة و إنهلوا عليه بلكمات مؤلمة على مستوى البطن لم يرغب في أن يدافع عن نفسه حتى

" هاني !!" كان هذا آخر صوت ينتظره

" ما الذي يجري؟؟ لم تضربونه هكذا؟؟.. سأنادي على المشرفين و المدير .." أمسكها أحد الطلاب من معصمها ليمنعها من المغادرة

" هيا دعني !! أيها الحارس .. حضرة المدير هل من أحد يسمعني؟؟.. " زاد الطالب من الضغط على معصمها إلى أن صرخت من الألم ، فيما صرح إياد بتفاخر

" لن تذهبي الى أي مكان !!.. هذه المنطقة تخصني و لن يخرج أحد منكما سالما .. و هذا وعد مني !!.."

" لا .. دعها تغادر فهي لا علاقة لها بما يحصل !!.. أنا أرجوك .."

" آه .. !! تترجاني من أجلها؟؟ أحببت ذلك .. و لكني لن أفعل بل سأنتقم منك عبرها .."

ثم أمر الشاب بترك معصمها التي ظهرت علامات زرقاء عليه و دفعها على الجدار لتقع مغشيا عليها فور الإرتطام خلفية رأسها عليه ..

" أميرة؟؟!!!!!!.."

صرخ بعدما خلص نفسه من بين أيديهم راكض نحوها ، عاد الشباب للتجمع كالجدار حائل بينه و بينها ، شخط في وجههم بقوة

" إبتعدوا !! " لكن لم يتحرك منهم أحد ، إستعرت عيونه غضبا و تحدث من بين أسنانه

" لقد أخبرتك أنني لا أريد مشاكل !!.. أنني لا أريد أن أضرب أحدا ..!! أنني لا أريد أن تتأذوا بسببي لكنك لم تصغي إلي .." صمت قليلا ثم نطق بأخر كلمات له كالجليد " ستعرف الآن مع من تعبت .."

هجم عليهم كالمجنون و صار يضربهم دون وعي أو إهتمام حتى بما يتلقاه من كدمات أو جروح لم يتوقف الى أن سمع أنينها أسرع نحوها و بأصابعه المخدرة تحسس نبضها ثم رفعها عن الأرض بذراعيه المتشنجة و حملها في الأخير فوق ظهره نحو مكتب الممرضة حتى تطببها ، جلس بجانب سريرها بقلق يمرر الوصفة الطبية بين أصابعه بسلاسة محدقا الى كل تفصيل فيها منتظرا أن تعود الى وعيها ، تأمل الضمادة الموضوعة على معصمها و أثر الجرح الواضح على جانب جبهتها ، جعلته يشعر بالذنب و الخوف معا فلن يغفر له حسن خطئا كهذا و الأسوء هو علي ، فيما كانت تعود الى وعيها كان هو يغادر الواقع بتخيلاته رويدا رويدا . لم تنطق اميرة بحرف واحد حتى وقت مغادرة المدرسة كانت متعبة و في حاجة للراحة ، فجرحها عاد يؤلمها من جديد ، فتح هاني باب السيارة لها و أتبعها بمحفظتها ، بينما تصطاده عيون السائق المحتتقة.

إرتمت هناء على سريرها تخنق نفسها عبر إغلاق أنفها و فمها حتى لا يصل بكاءها و أنينها لأحد .. كانت تتألم جراء الضرب العنيف الذي لاقتة من حسن بعد ما حصل ، و توعد علي لها عبر الهاتف كانت تعرف أن هذا لم يكن ليمر بسلام .. وحدها من كانت تعرف كم الحقد و الكره الكامن بين الإثنين .. ليتها تقوى على الهرب ، ليتها تشتكي و تتألم مثل باقي البشر إنها صورة للجلاد و الضحية .. كيف لها أن تتحمل بعد؟؟ .. قلبها تحطم .. و آخر أمل لها في أن تصبح هناء الحرة إنعدم ، حرم عليها الحلم .. كيف لها أن تتخلص من خيوط العنكبوت التي وقعت فيها؟؟ .. وقفت مبتعدة عن السرير بعدما إنتفخ وجهها و إحمر من كثرت البكاء فلا أحد سيسمع تألمها ، لا أحد يرى جروحها .. دخلت الحمام لتغسل وجهها قليلا وقفت تحفظ التضاريس التي تعلق وجهها الحزين عند مرآة المغسلة تحسست بأصبعها تورم عينها اليسرى والشق الدامي على شفتها السفلية ، تفحصت جرح ذراعها و الكدمة المزرققة على رقبتها وساقها حتى صفعات حسن و ضربه لها كان أثره واضحا على كل جزء من جسدها..

" من ذا الذي يتألم؟؟ .. "

" لا أعلم تحديدا .. "

" هاني لم تتألم؟؟ "

" لأن هناء من تتألم "

" هناء !!.. هناء لا وجود لها "

" بل هي هنا!.. ألا ترين؟؟ .. إنها من تبكي "

"أجننت؟؟ .. يجب أن تموت حتى تعيش .. إنها ميتة!! أ مفهوم؟؟ .. هناء ماتت .. لا يجب أن تعيش !! " ببطء سحبت قطعة قطن صغيرة من درج المنضدة و أغرقتة في المعقم الأزرق الذي سكر هواء الغرفة من عطره ، كان الجرح يهرب كلما حاول المعقم تطبيبه ، كانت تبكي بعيون مغلقة من كثرة الألم حتى أن الحمى باتت تأكل عظامها شيئا فشيئا، وضعت يدها المنهكة بإستسلام فوق المغسلة و حدقت الى عيونها الواسعة مليا، تذكرت القسوة التي تعيشها ، و حال اليأس الذي ترتمي فيه ، و من دون وعي وضعت قطعة القطن مباشرة فوق جرح المعلم على جانب جبهتها و كتمت أنينها الذي صاحبه بضعة دمعات دافئة، واصلت الضغط

على الجرح رغم الوجع حتى تخدر تماما و ما عادت تحس بوجوده، في كل مرة كانت تعاقب فيها كانت تكرر نفس السؤال الذي لم تجد له جوابا ..

"لم هي؟؟..لم إختارها القدر؟؟ ما الذي يريده منها ..؟؟"

دقات خافتة تبعها صوت رقيق و ناعم " هاني !!! هل أنت نائم؟؟.."

لم تملك رغبة في الرد او حتى النظر إليها ، فتح الباب و تسللت أميرة لداخل لتتوقف عند مدخل الحمام

".. هاني هل أنت غاضب مني؟؟.. أنا .."

أكملت تطيب جروحها دون أن تلقي بالا للإستدارة

" لا عليك ، أنا بخير، يجب عليك الراحة.. لا تقلقي بشأني أنا .."

" أل هذه الدرجة لا تقوى حتى أن تنظر إلي؟؟"

" أنا لست غاضبا ، عوقبت بسبب إهمالي الذي كاد أن يودي بحياتك ، لهذا أنا أسف .. أعدك أنه لن يتكرر مجددا .."

اقتربت منها لتعانقها بقوة من الخلف .. " أرجوك .. لا تفعل هذا؟؟.. لا تقل ذلك !! .. أرجوك .. أعلم أن أبي عاقبك بسببي أنا لم أقصد ذلك .. أقسم لك .. حاولت فقط أن أساعدك لكنني سببت لك المزيد من المشاكل .. أنا متأسفة فعلا .." و شرعت بالبكاء فجأة جعلت هناء تستدير لها ..

" أميرة لا تبكي .. !! لا ذنب لك فيما حصل .. لست غاضبا منك .. أنا لم أقم بواجبي لهذا أنا أستحق العقاب"

" أ فعلا !! انت لست مستاءا مني؟؟"

" لا.. مطلقا .."

"دعني أرى .."

"أنا بخير .. لا داعي ل.."

تحسست أميرة جرحها المرسوم على جبهتها بحواف أصابعها فتألمت ولكنها لم تظهر ذلك و إدعت عدم الإكتراث ..

" هاني ..ربما أسفي لن يخفف عنك شيئا .. لكنني فعلا متأسفة .."

" لا عليك .. فقط كان عليك أن لا تتدخلني .. لكن ما حصل حصل .. لننسى ..!"

" هل تقوى على نسيان كل ما حصل معك .."

" الإنسان لا ينسى يا أميرة .. الإنسان يتناسى حتى يقوى على المضي قدما .." هل أطلب منك شيئا !!"

" و هل تغفر؟؟"

" أنا اسامح فقط لأنني أستحق بعضا من الراحة .. "

" أتغفر لأبي ما فعل معك؟؟ هل تسامح من فعل بك هذا؟؟"

شردت قليلا تفكر في سؤالها الذي كان صعبا رغم البساطة

" هاني؟؟ الى أين سرحت؟؟"

" ..أسف هل كنت تقولين شيئا؟؟"

" قلت أنني أريد أن أطلب منك شيئا .. "

" تفضلي...!!"

" أريد أن أنام هنا و أنت تغني لي تهويدتي حتى أنام .. "

" لكن ..السيد حسن ...!!"

أمسكت يدها تترجاها و عيونها على وشك أن تغمرها الدموع .. " أرجوك لا ترفض ..أرجوك .. "

" حسنا .. لا مشكلة .. لكن لم أغني لك منذ زمن؟؟ .. أقصد بعد كل هذه السنين ما الذي ذكرك بها؟؟ .. "

" لأنني لا أرك على حقيقتك إلا عندما تغنيها .. إنها تخرج ما بصدرك من ألم تخفيه عني .. أنت تغنيها بصدق ما يجعل عيوني تدمع ..أرجوك .. أرجوك .. "

إبتسمت و فتحت ذرعها لترتمي أميرة داخله بسعادة ..

" هاني؟؟ .. "

" نعم؟؟ .. "

"ألن يأتي يوم تغادرني فيه أو تتخلى فيه عني؟؟"

" لا .. لن أتخلى عنك حتى و إن كنت بعيدا .. "

" هاني؟؟"

" أممم؟؟"

" أنت عائلتي .. أنا لن أتخلى عنك يوما .. أعدك .. "

" أميرة .. الوعود وجد لينكث بها .. فلا تقطعي وعدا لست قادرة على إفاء به .. "

" سأفعل .. و ستري !!"

ضغطت عليها بقوة نسيت بها كل ما ألمها و شرعت بالغناء برقة و دموعها تنهمر ترثي معاذ الصغير ..

" ..أيها الليل .. يا رسول الظلام ..أخبرني أين حبيبي؟؟..أين ترسو الخيام .. في شتاء بارد أنا .. لا يحكي لي غير الألام .. ذلك الثقب داخلي لا يندمل .. و لا أعرف غير الصراخ الأبكم .. شمسي غابت اليوم .. و غادرتني شعاع ذلك النجم .. الآن .. الآن ..لا أحد غيرنا .. أنا و أنت و هو الغائب هائم ..أممم ..أممم ..أيها الليل .. داعب عيوني بقليل من النوم ..لا تسألني عن حال فؤادي فقد أثقله الهم .. تهرب مني الساعات و لا أجد حظنا يضم .. أممم .. أممم .. أيها الليل .. حدثني .. كلمني .. وحيد أنا .. فالكل مصاب بالصمم .. أممم .. أيها الليل أممم.. أممم.."

أحست بثقل ذراعيها فعرفت أنها نامت و هي تختبئ بين ذراعيها حملتها فوق ظهرها ووضعتها في السرير ، إفتششت الأرض تفكر في الماضي فيما تتقافز شقاوة معاذ أمام ناظرها ، سندت رأسها على السرير وغفت على لون الدموع الحزينة التي تبكيها في كل مرة.

لم تستيقظ الى أن دغدغت أشعة الشمس وجهها المتورم و المزرق بشدة و لم تعد قادرة حتى على تحريك شفاهها ،نومها السيئ على الأرضية طيلة الليل طحن عظام جسدها ،كحلزون إستندت على دعامة السلم لتتنزل بعد أن جهزت نفسها ليوم دراسي جديد ، لم ترغب بتناول الفطور ، وقفت بجانب السيارة تنتظر أميرة التي ما لبثت أن خرجت من باب المنزل الزجاجي سعيدة كعادتها ..

" صباح الخير هاني ..!!.. أنت لم تتناول فطورك اليوم .."

" صباح النور أنسة اميرة !!.."

أستغربت لغته الرسمية في البداية و لكنها فهمت الموضوع ما إن لمحت السائق ..

" لقد إزداد تورم وجنتك و دكن لونه ، و بالكاد أنت قادر على الحديث و الحركة .. أعتقد أنه عليك زيارة الطبيب و أن تأخذ اليوم راحة .. "

زم السائق شفتيه و هو يركب السيارة لكن هاني أجاب بهدوء .. " لا عليك أنستي .. أنا بخير .. هيا لنذهب لقد تأخرنا.. " .. فتح الباب لها .. " لو سمحت..!! "

لبست لباس الصمت الى أن وصلا الى الثانوية أين أمسكت بيده بقوة تمنعه دخول القسم ..

" ماذا هناك؟؟.. لم توقفيني؟؟.."

" أنت لن تدخل الى القسم بل ستزور الطبيب و فوراً !!.. "

" أميرة لا تقلقي .. أنا بخير هيا لندخل .."

شدت على ذراعه بقوة مصررة .. " قلت لك الآن !!.. أنت لست بخير بل تبدو لي متوعكا .. "

" لا بل أنا بخير فقط لقد كانت وضعيتي أثناء النوم يوم امس سيئة لهذا تؤلمني رقبتني قليلا .. "

وضعت أميرة يدها على جبهه التي كانت تشتعل .. " و ماذا عن الحمى؟؟.." " حسنا .. حسنا .. دعينا ندخل الآن و أعدك أني سأزور الطبيب ما إن ننتهي من الحصص .."

" لا تنسى أنك وعدتني .. "

" أممم .. هيا لندخل الآن .. "

عادت تسحبه من ذراعه فجأة " ماذا هناك الآن؟؟ "

" انظر!" كان إياد يعيد الضمادة على كف يده بروية

" دعك منه .. هيا بنا !!"

" لكن !!!.."

بخطوات بطيئة متجاوزة إقترب هاني من مكانه فيما كانت الرؤية لديه تنتشوش، حاول جلوس لكن إياد سحب الكرسي ليستفزه لكنه تجاهله و أعاد الكرسي نحوه ..

" صباح الخير أيها المدلل !!"

لم يهتم بأجابته فيما إستدرك إياد "أيها الوسيم ! .. ماذا بك؟؟ .. لم أنت هادئ على غير العادة؟؟ .."

جلس هاني في هدوء و أخرج بعض الدفاتر من محفظته و لم يعلق الى أن أمسكه إياد من قميصه الرياضي

" لم تتجاهلني و كأني لست موجودا؟؟ .. أظن أن ..!! " خفف من قبضته على قميص هاني ما إن تراءت له الكدمات المتورمة على وجهه .. " ماذا بك؟؟ .. من .. "

دفع به هاني بعيدا بوهن واضح .. " إبتعد عني !!.. و لا تلمسني مجددا .. "

حاول التقرب منه مجددا لكن أميرة وقفت بينهما .. " أنت السبب فيما حصل له .. لو أنك لم .."

" أميرة هذا يكفي ..!!.. " بصوت شديد التعب ..

" لم تسكتها .. دعها تكمل .. لماذا تقولين أنني السبب أيتها المدللة ما الذي فعلته؟؟ "

" لو أنك لم تسبب مشكلة يوم أمس لما تعرض للعقاب بهذا الشكل .. أنت السبب لما هو فيه .. إبتعد عنه و إلا .. "

إقترب منها و علامات الغضب تشتعل في عينيه .. " و إلا ماذا !!"

" إن حاولت إيذائه مجددا أو حتى النظر ناحيته سأقتلع عينيك هاتين أ مفهوم!! .. غبي .."

إشتعل إياد غضبا و هم بصفع أميرة لكن هاني تلقى الصفحة عنها ..

" أنا أتأسف لما قالته .. لن يتكرر هذا .. " ثم نظر ناحية أميرة التي كانت تصرخ ..

" لم تلقيت الصفة عني!! .. كنت س.. "

" أميرة !!! "

" ماذا !!! أنا لن .. "

" لو سمحت .. هذا يكفي .. "

زمجرت أميرة من بين أسنانها و هي تصطدم بإياد عمدا .. " أحرق و تافه .. "

" أنت !!! "

" أنا أسف .. لم تعني أي شيء .. " بنبرة حزينة و متعبة إعتذر هاني و عاد الى مكانه في هدوء .. إستدار ليجدها تهتم بركله على مؤخرته لكنها إنزلقت فجأة فتلقفها بين يديه و تقع في أحضانه

" لو كنت تريدين العناق لم تسببين مشكلة كنت فقط لتطلي ..!! "

إبتعدت عنه بسرعة في خجل " أنت .. "

" هذا يكفي!!! .. " أمسكها هاني من ذراعها و أجلسها مكانها بهدوء بينما كان وجهها يشتعل حمرة ، و لم تحد أعين إياد عن تتبع تصرفات هاني الرتيبة و المتعبة.

قطرات العرق غسلت كامل جسده رغم الجو البارد لكنه تحمل ليتابع الدروس واحدا تلو الآخر، فهو يعرف أنه لا حق له في الراحة ، لا يمكنه أن يتأمل و يرتاح ، لهذا رفض العودة الى المنزل معها بعدما إعتذرت على حصة الرياضة بسبب الإصابة التي تعرضت لها ، فضل البقاء رغم حالته السيئة ليكمل باقي الدروس رغم ترجيحها له أن يعود معها لكنه تحجج بدروسه فقط حتى يتخلص من مسؤولياته تجاهها و يهدأ تفكيره قليلا . كانت الحمى تسطر عليه لكنه اختار لعب كرة السلة على أن يزور الطبيب ، لم يلحظ الأعين التي كانت تراقبه و تتبعه في كل حركة يقوم بها.

كان يلاحظ ترنحه بين الفينة و الأخرى فيما كانت الكرة تنط هنا و هناك هاربة من بين يديه ، إصطدم به عمدا ليستفزه لكنه وقع ارضا بتعب واضح حتى أنه لم يقوى على الوقوف بعدها ، إبتعد عن الملعب و جلس على الكراسي الإحتياط الخشبية يضم كلتا يديه في حجره ناظرا للفراغ بشروود حتى أنه لم يلمح القارورة الممدودة له من يد اياد الواقف بجانبه

" هاي ! أنت أيها الوسيم !!! "

تشوش نظره فجأة و لم يعد قادرا على تمييز غير الصوت الذي يكلمه ، وضع رأسه بين يديه و تمتم بتعب

" ماذا تريد يا إياد؟؟ .. "

" إنها حصة رياضة أيها الكسول و لست في فندق للإسترخاء .. هيا قم !!! بسببك فريقي يخسر.. نحن لم نخسر أبدا "

" لم لا تجرب الخسارة اليوم و تدعني وشأني؟؟"

" ماذا؟؟ .. هاي ! أنت يا هذا !! ماذا قلت أسمعني مجددا؟؟" تفاجأ إياد بشحوبه فور رفعه لنظره نحوه

" هاي ! أنت .. هل أنت بخير ..؟؟"

" انا بخير.. دعني وشأني .."

أبعد هاني كف إياد عنه ووقف محاولا الإبتعاد لكنه أصيب بالدوار فجأة فأرتطم بصدرة بوهن شديد

" لم أنت عنيد؟؟.. دعني أنادي على الطبيب تبدو .. "

حاول هاني الوقوف بإعتدال مجددا .. " قلت أنا .. ب.. خ.. ي..ر.. " غاب عن الوعي وسقط بين ذراعي إياد

" أنت .. هاني .. هل أنت بخير؟؟ أجبني!!" ..لم يجد مفرا من أن يسنده و يأخذه الى طبيب المدرسة ..

إستنفر هاني ما إن سمع أزيز الباب يفتح محاولا الوقوف و الإبتعاد عن السرير لكنه شعر بالدوار مجددا فاكتفى بالجلوس على الحافة

" أرجوك .. حالتك ستسوء إن لم تصغي إلي و تدعني أفحصك ..!!"

".. قلت أنني بخير .. !!.. دعني أمر .."

رغم حديث الطبيب لكنه لم يرغب في أن يفحص و قرر الوقوف ثانية دخل إياد بسرعة بعد أن سمع صوته العالي

" لم أنت عنيد هكذا؟؟.. لم لا تدع الطبيب يقوم بعمله ..؟؟"

نظر هاني بتعب و غضب نحو إياد فيما قطرات العرق الباردة تتصبب من جبهته ..

" لا تتدخل .. إنه أمر لا يخصك .." ووقف مجددا، شعر بالأرض تتحرك أسفل قدميه فوق مغشيا عليه مجددا فوق السرير ..

سارع الطبيب لوضع المصل الطبي له بعد أن تأكد من نزول مستوى السكر لديه و حفته بدواء مضاد للحمى .. فيما وقف أياد عاقدا ذراعيه بقلق

" كيف حاله؟؟.."

" سيتحسن و الأهم أنه سيعود لوعيه قريبا .. لا تقلق .. فصديقك بخير الآن .. "

توتر إياد و أجاب بتلعثم .. " إنه ليس صديقي .. و أنا لا أهتم لأمره مطلقا .. فقط .. "

إبتسم الطبيب خفية " غريب إنه يشبهك في الطباع و تبدو قلقا من أجله أيضا!على كل.. إنه بخير.. بإمكانك البقاء معه إن أردت أنا سأخرج الآن .. "

ترك الطبيب مئزره على المكتب و غادر بينما سحب إياد كرسيها و جلس بجانب السرير يتأمل وجه هاني النائم .. أين دغدغت قطرة من العرق رقبتة مشوشة نومه و راحتة ، إبتسم إياد خفية و سحب منديلا من جيبه و جففها ، سمع أنينه الشبه باكي و تأمل الجرح المتورم على جانب وجهه الأيسر و تورم شفته أيضا .. شعر بالشفقة نحوه و تمتع من بين شفاهه ..

" ما الذي حصل معه؟؟ .. يبدو كملاك جريح و حزين .. رغم أنه عنيد و قاسي لكنه يبدو في نومه يبدو هادئا و مسالما .. "هز إياد رأسه يمنة و يسرة .. " و لم أهتم ، إنه غبي و متفاخر و يستحق ذلك ..!!" سكت هنيهة " لكنه وسيم هه .. ستصطف الفتيات من أجله .. و من ستحب أحقا مثله ..!! يبدو بريئا فعلا رغم أنه عنيد جدا .. ههه!! ما هذا؟؟ أنا أكلم نفسي مثل المجنون ، لا و الأهل أني أناقض نفسي من أجله ! ..أنا فعلا مغفل ههه "

" أنا أسف !!..أسف ..أمم .. لن أكررها .. أمم "

" إنه يهذي أو ماذا؟؟ .. "

دخل الطبيب على خلسة ووجد إياد يتحسس جبهة هاني .. " لا تقلق .. سيستيقظ قريبا .. "

إلتفت إياد الى صوت الطبيب مبعدا يده عن هاني .. " أحم .. لقد كان يهذي .. "

" إنه أمر عادي .. خذ هذه الوصفة و إشتري هذه الأدوية عليه أن يأخذها في أوقاتها و إلا ستتدهور حالته ثانية كما عليه الإبتعاد عن المشاكل و الضغوط ، يحتاج إلى الكثير راحة بعد تلك الضربات .. و أشار الى أنه بدأ يستعيد وعيه .إنتبه هاني الى أنه نائم فوق السرير و كون إياد و الطبيب ينظرون إليه فخاف من أن حقيقته قد كشفت وبدأ يتحسس قميصه الرياضي الذي مازال مغلقا ..

" ها قد عاد الى وعيه .. إعتني به .. و أبعده عن المشاكل "

" أكيد لا تقلق .. (ثم مد يده لهاني) هيا لنذهب "

لكن هاني ضرب يده مبعدا إياها عن مرمى نظره في غضب " أستطيع الاعتناء بنفسي و لا أحتاج مساعدتك" وقف بسرعة لكنه كاد أن يتهاوى أرضا إلا أن إياد سنده فيما قال الطبيب ..

" لا يمكنك العودة الى المنزل لوحدك بهذه الحالة .. إسمح له بمرافقتك .. "

لكن هاني تشبث برأيه و هم بالخروج من مكتب الطبيب لوحده بينما تبعه إياد مسرعا ..

" إنتظرنني .. لم تسرع هكذا؟؟ .." لم يهتم لصراخه الذي يتبعه الى أن إنزعج منه فإستدار نحوه

" لم تتبطني هكذا؟؟ .."

" لأنني وعدت الطبيب أنني سأعتني بك .. "

" اخلصك من هذا الوعد .. أستطيع الاهتمام بنفسي .. شكرا لك !"

عقد إياد ذراعيه مدعيا الحزن .. " الشكر لن يكفيني .."

" و ما الذي تريده ..؟؟.. "

" أن تكون صديقا لي !!! " لمعت عينا هاني بدفئ و لكن ما إن تذكر حاله حتى إختفت و رد بقوة

" أنا لا أريد !!!.. " و هم متابعا المسير نحو مخرج الثانوية

" على فكرة أنا لا أطلب منك .. فأنت مدين لي على أية حال .. "

"!!!!؟؟؟"

" لقد ضيعت علي حصة الرياضة ، بقيت ساعات و أنا جالس هناك بجانبك .. عليك أن تعوظني !!!.. "

" و لم علي أن أعوضك فأنت من .. "

" لا يهمني رأيك .. المهم أنك مدين لي .. " قال إياد ذلك و مص شفتيه كالأطفال مما جعل هاني يبتسم خفية ..

" إذن أنت تجيد الإبتسام !!!.. " فتحت عينا هاني على مسرعيهما و تجمد مكانه لكن إياد واصل حديثه .. " و سأعتبر هذه موافقة منك !.. "

طأطأ هاني رأسه .. " أنا أسف لكن لا يمكنني قبول صداقتك .. "

إقترب إياد منه متحججا .. " لكن لم؟؟.. أنا لست سيئا كما تظن كما أن ذلك المشكل حللناه و إنتهينا "

" لم تتشبت بمصادقتي هكذا؟؟ أنت لا تعرفني حتى! ، لا بل لا تعلم عني أدنى شيء.. "

هز إياد كتفيه .. " و أنت لا تعرف عني أي شيء أيضا .. ما يجعلنا متعادلين!!.. "

" أسف لكن .. "

" لن أقبل أسفك أو رفضك .. قررت أننا أصدقاء و إنتهينا.. "

" لكن .. "

" لكن !!!.. مما أنت خائف ..؟؟ "

" لست خائفا .. أنه غير مسموح لي بتكوين الصداقات .. "

" لم؟؟ .. هل أنت عبد أحد ما؟؟.. لا تكن أحمقا .. أنت صديقي و هذا نهائي .. و عليه أنا سأدعوك لتناول البوظة معي و على حسابي اليوم .. "

" أنا .. "

علق إياد ذراعه على رقبة هاني و سحبه معه الى خارج الثانوية .. " أنت تتحدث كثيرا يا هذا .. هيا .. "

أخذ خوذة دراجته النارية و رماها إليه ليتلقفها بهفة ..

" لا تعتقد أنني أعرض على الجميع ركوب دراجتي فهي كما ترى جميلة و فاتنة أليس كذلك عزيزتي؟؟"

" هه .. تكلمها كأنها شخص... "

" أششش ! ستجرح مشاعرها .. أسامحك فقط حتى تعرف أنك صديقي المميز .. "

" لم أنت ودود معي ؟ .. أقصد .. "

" أحم.. فقط أنا أعرض عن ما حصل لك بسببي كما قالت تلك الساحرة .. "

" لا تقل عنها هكذا ! .. "

" حسنا .. حسنا .. هيا بنا الآن .. "

" الى أين؟؟.. "

" ستعرف فيما بعد .. هيا الآن .. "

إرتدى هاني الخوذة و ركب خلفه في حذر و يداه مضمومتان الى صدره في خجل ..

" لم تتصرف كالفتيات؟؟.. ههه (و سحب كلتي ذراعيه ووضعهما على صدره) هكذا !!
إذا كنت تريد أن تبقى حيا .. تشبث جيدا .. "

حينما بدأت الدراجة بالتحرك إرتد هاني و تشبث بظهره كالقرد المتدلي من الشجرة ، كان يشعر بالسعادة العارمة لأنها أول مرة يشم رائحة الحرية ، ترك جاكيت إياد بعدما تعرقت كفاه و رفع ذراعيه واقفا بتهور ، فيما كان إياد يبتسم لتصرفاته المنعكسة على المرأة الجانبية ضربه هاني بغتة على ظهره صارخا في أذنه

" أسرع !! أسرع !! هذا رائع !!.. بسرعة أكبر .. أرجوك .. " سعد إياد بتحسن حالة هاني و سعادته حتى أن فمه كان مفتوحا على مصرعيه كأنه يحاول بلع الهواء من الفرح، قرر أن يستنفره قليلا فتوقف بغتة جعلت أنف هاني يصدم بقوة على ظهره.

"لم توقفت؟؟"

عقد ذراعيه مدعيا الغضب " أنا لست سائقك !! .. وأنت؟؟ كيف تصرخ بتلك القوة في أذني ، لقد كدت أن تسبب لي بالصمم؟؟ إضافة الى ذلك تقف بينما سرعة الدراجة كبيرة جدا؟؟ ..ألا تخاف أن تسقط وتموت ؟ أو أن تتاذى هل نسيت أنك مريض !!.. "

كانت سعادة تفقز من عيون هاني العسلية " الموت ليس إلا آخر حلقة للعذاب !.. أرجوك هيا لنقل مجددا .. أرجوك ، أعدك أنني لن أصرخ مجددا .. وعد مني هيا !! ..أخر مرة .. أرجوك "

إبتسم إياد لرؤية الطفولة في وجهه العنيد .. " أعتقد أن ذلك الطبيب قد أعطاك دواء ما سبب لك الجنون ههه .. هيا لنذهب .. لكن كن حذرا حسنا .. "

قفز هاني مكانه من الغبطة " لنفتح أشرعة الحرية مجددا ! .. هيا الى الامام !!"
" أيها المجنون .. نحن لن نذهب الى الحرب إهدأ قليلا .. "
" غير مهم .. هيا أقلع .. "

تمتم إباد و هو يبتسم " و هذه ليست طائرة أيضا .. ههه غبي .. "
كان في قمة السعادة و النشوة ، هواء الحرية جعله ينسى كل الأمه و أحزانه ، كأن سرعة الدراجة كانت تنثر ما يرتمي في أعماقه من حزن دفين ، خفت سرعة الدراجة لتتوقف عند بائع البوظة المتنقل

" أ تحب الفانيلا ؟؟ .. "

أجاب هاني بإبتسامة تكاد تصل الى أذنيه .. " نعم أحبها جدا .. رائحتها رائعة ؟؟ .. "
" لقد نسيت أنك مصاب بالحمى، دعنا نتناولها في وقت لاحق! " و هم بتشغيل الدراجة ثانية لكن هاني زم شفثيه " لا .. أنا أريد بوظة و الآن و لن أغير من دونها !!"
" أنت مريض ! هل نسيت ما حصل قبل قليل ؟؟ "

" أنا لست مريضا لقد تحسنت ، كما أنني إن تناولت البوظة سيتحسن مزاجي و أكون أكثر سعادة "

" أكثر سعادة من ما أراه الآن ؟؟ .. لا أرجوك أخاف أن تجن لتتوقف عند هذا الحد "
صرخ هاني كالأطفال عاليا " قلت .. أنا أريد بوظة .. بوظة .. و الآن .. الآن .. "
" حسنا .. حسنا .. توقف عن التصرف كالأطفال .. كفا صراخا .. ذاهب أنا .. أقسم أنني ذاهب "

" ليس في ذلك الإتجاه البائع من هنا ، هل أنت أحول ؟؟ "

" إخرس .. إنتظرنني قليلا ، سأعود "

لوح إباد بيده و دخل الصيدلية ثم إتجه الى محل البوظة فيما كان هاني يداعب مقود الدراجة مدندنا ..

" خذ.. أيها المخبول !.. "

تفاجأ هاني بصوت إباد .. " عدت بسرعة .. !! "

" أمم .. خذ، أمسك .. قبل أن تبدأ بالذوبان .. "

نظر هاني الى البوظة بعينون تلمع " بوظة من أجلي أنا "

" أممم!! هيا لنجلس على ذلك الكرسي هناك .. "

أمسك هاني بالبوظة التي كانت بذوق الفانيلا و بقي متمسرا يحرق إليها بسعادة ..

" أستبقى متحجرا هناك؟؟ .. تعال و اجلس .. "

اقترب هاني من اياد الذي كان يتناول البوظة بيد و اليد الاخرى يدسها داخل جيبه ..

" لم لا تجلس؟؟ .. و تتوقف عن النظر إلي هكذا .. "

لكن عيون هاني تسمرت على وجه اياد الذي ابتسم ..

" أعلم أنني وسيم! .. لكن ليس الى درجة أن يعجب بي شاب ههه"

أنزل هاني عيونه بعد إنتبهه الى ما يحصل و جلس بجانب إياد في هدوء بينما بوظته تنقطر على أصابعه

" الحقيقة .. لم يسبق أن إشتري لي أحد شيئا .. "

" أتمزح؟؟؟ .. "

نظر هاني الى إياد بحزن .. " لا .. "

" و والديك؟؟ .. "

" انا لا أملك والدين لا بل لا أعرفهما مطلقا .. "

شعر إياد بالحزن على هاني ثم قرر تلطيف الجو قليلا .. " إذا كنت ممتنا لي .. قل لي شكرا و حسب .. وتناولها فقد بدأت بالدوبان .. "

" أنت محق .. " شرع هاني بتناول البوظة بفرح ترقبه عيون إياد من الجانب و هو يحدث نفسه ..

" شياء غامض بك يجعلني أتساءل .. لكني لا أعرف ما هو؟ أي سؤال علي أن أسأل حتى أفهم هذا التناقض حولك ؟ .. "

" ماذا؟؟ .. هل قلت شيئا؟؟ .. "

" لا ، لم أفعل؟ .. "

كان يهم بتناول بوظته الى أن أوقفه صوت هاني .. " شكرا لك يا .. ص .. صديقي .. "

" هل كلمة صديقي صعبة الى هذه الدرجة؟؟ .. إذن نادني بإسمي .. إياد .. "

" لكنك تكبرني سنا .. "

" هاي!! أنا لست شيئا .. "

" ههه .. ظننت ذلك .. "

" كيف تجرؤ .. !!! " لطح وجه هاني بالبوظة ..

" أممم .. إنها لذيذة أريد القليل منها هنا لو سمحت .. "

صرخ إياد فيما هم هاني بسحب يده حتى يلطخ وجنته اليسرى " .. إبتعد .. إنها بوظتي أنا ..
أيها الشره "

" لن أفعل .. كما أن إسمي هو هاني .. "

" هيا هاني دعها و إلا أخذت خاصتك .. "

أخذ هاني قضمة كبيرة بأسنانه بغتة من بوظة إياد و هرب مبتعدا.. " إنها باردة! .. لا أقوى
على إبتلاعها "

" ههه .. هذا عقابك لأنك تناولت خاصتي .. أيها النهم "

" قد أكون شرها لكني لست عجوزا مثلك .. ههه .. تناسبك كنية العجوز أكثر من إياد .. ههه
"

" ماذا؟؟ .. تعال الى هنا .. هاني .. أيها .. "

و بدأ بالركض حول الدراجة النارية الى أن تعبا و إرتميا على الكرسي الخشبي و هما يقهقهان
من الضحك لدرجة ما عادا قادرين على التنفس .. أوصل إياد هاني الى المنزل على دراجته
النارية أين نزل و بقيا ينظران الى بعضهما بفرح ..

" لقد قضيت وقتا ممتعا .. شكرا لك .. "

" لا شكر بيننا نحن أصدقاء يا فتى .. "

بدأ هاني بالتراجع للخلف مبتعدا و هو يلوح تارة الى إياد و مرة يبتسم ..

" سأغادر أنا .. تصبح على خير .. حسنا .. وداعا .. "

" إنتظر ..!!.. لقد نسيت .. "

" نسيت ماذا؟؟ .. "

" خذ هذه أدويتك .. تناولها في وقتها و إلا ستسوء حالتك .. "

أخذ هاني الكيس منه و عيونه تكاد تدمع من التأثر ..

" شكرا .. لقد فعلت الكثير من أجلي .. "

ضرب إياد كتف هاني و إستدار مغادرا .. " كفى يا فتى .. أنضج .. أنا مغادر .. "

وقف ينظر اليه بعيون سعيدة تحسب خطوات إبتعاده عنه، فلا أحد إكترث لأمره كما هو فعل
.. ثم تمتم من بين شفاهه مبتسما و هو ينظر تارة الى الطريق الذي إخفى إياد بين طياته و
كيس الأدوية الذي إشتراه له تارة أخرى ..

" شكرا .. شكرا لك صديقي .. "

و فتح الباب و دخل الى المنزل غير منتبه بعيون حسن الذي كانت تتابعه طيلة وقوفه مع إياد خارج المنزل ثم انزل ستائر النافذة و خرج من غرفته ليلاقي هاني على السلام لكن اميرة كانت قد سبقته ..

" هل أنت بخير؟؟ .. لقد قلقت من أجلك؟؟ .. لم تأخرت هكذا؟؟ .. هل زرت الطبيب ..؟؟ "

أمسكها من ذراعها برقة يهدئها .. " إهدئي .. أنا بخير .. لقد زرت الطبيب و أعطاني هذه الأدوية .. "

عانقته بقوة " جيد .. لقد كنت خائفة أن لا تعود .. لقد طلبت منك أن تدعني أبقى معك في المدرسة و أن نذهب سوياً الى الطبيب لكنك رفضت .. "

" أميرة .. أنا .. "

" ألم أطلب منك أن تضعي حدوداً بينك و بين الخدم ..؟؟ " إبتعدا ما إن جاء صوت والدها من فوق الدرج السلام

" أبي .. لقد كان هاني مريضاً .. لهذا .. "

" غير مهم أن تبرري الآن .. إنها آخر مرة ، و إلا .. أنت تعرفين جيداً العواقب .. أنا لا أخطر فقط .. "

" أسفة أبي .. لن يتكرر ما حصل .. "

هما بصعود الدرج لكن حسن أوقف هاني يستفسر عن إياد .. " أخبرني .. من كان ذلك الذي أوصلك على دراجته ..؟؟ "

بلع هاني ريقه بصعوبة و أجاب .. " إنه .. إنه صديق لي .. أقصد زميل لي .. "

" هل يملك إسماً ..؟؟ .. "

" إ.. إياد .. سيدي .. إسمه إياد .. "

" أنت تعرف أنك ممنوع من تكوين الصداقات .. أليس كذلك .. "

غطت نبرة الحزن و اليأس هاني .. " أجل سيدي .. أنا أسف .. لكنه من أخذني الى الطبيب عندما ساءت حالتي في الحصة الرياضية .. "

وضع حسن يديه داخل جيبه و نظر بتعالي نحو هاني .. " أممم .. حسناً .. أنا لا مانع لدي من أن تصاحبه لكن يجب على أميرة أن تكون صديقة له أيضاً .. ألا تعتقد؟؟ .. "

رد هاني ببراعة و سعادة .. " أجل .. أجل سيدي .. سأعرفهما على بعض لا تقلق!! .. "

لمعت حدقتا حسن بمكر " جيد .. إرتح قليلاً .. و سأذهب لأنام .. "

طار هاني فرحاً .. " تصبح على خير سيدي! .. "

نزلت أميرة الدرجات مسرعة .. " أصبحت صديقا لذلك المغفل؟؟ ..و أبي سمح بذلك؟؟ .. ما الذي غير طبعه هكذا؟؟ .."

نظر إليها هاني مغتبطا .. " و لم أهتم؟؟ .. اليوم هو يوم سعدي .. أنا سعيد جدا جدا !!! .. " صعد الدرج متجها الى غرفته تتبعه أميرة التي قتلها الفضول ، دفعت الباب و إرتمت فوق السرير

" أريد أن أعرف كل شئ .. "

" عن ماذا؟؟ .."

" عن ذلك المغفل و كيف أصبحت صديقه هكذا .."

" حسنا سأخبرك .. "

قص هاني على أميرة ما حصل داخل الثانوية و تحفظ عن ما حصل خارجها ..

" كم هو غريب طبع البشر !!! .. تأثرت فعلا !!! .. لم أعتقد مطلقا أنه يملك قلبا عطوفا هكذا !!! "

" من ذا الذي لا يملك قلبا؟ .. كلنا نملك واحدا الفرق بيننا أن البعض منا تقتله الظروف ، تضعفه الأقدار ببساطة ، إضافة الى أن ما قامه به يسمى إنسانية .. "

" أيا يكن !!! .. الذي لم أفهمه هو كيف وافق أبي على صداقتكما؟؟ .. "

" أتصدقين !!! .. لم أتوقع ذلك مطلقا !!! .. حتى أنني تساءلت أيضا لكني لا أهتم المهم أنني أملك صديقا الآن!"

" و سأكون أنا أيضا .. هل نسيت؟؟ .."

" أعلم .. سأعرفكما على بعض غدا .. لن يكون أمرا صعبا مطلقا " ووقف يضع يده على خصره مشيرا برأسه لأميرة ..

" لن أخرج !!! .. لا أفهم لم تخجل من تغيير ثيابك أمامي .. مع أنك رجل .. "

" أنت محقة .. أنا رجل و أنت فتاة لا تخجل .. "

" ههه .. لكني رأيت صدرك سابقا .. أتذكر! عندما دخلت عليك الحمام و أنت تغتسل في الصغر .. "

" لقد كان ذلك سابقا .. في الصغر .. الآن !هيا أخرجي .. أريد أن أغير ثيابي .. "

" لكني لا أريد .. أريد أن أنام هنا معك .. "

سحبها من يديها ليوصلها الى باب الغرفة يكلمها بنغم " كسر ظهري ليلة أمس، و لن أنام على الأرض مجددا .. آآه !! .. لكم إشتقت الى سريري .. سأنام وحدي الليلة .. الى اللقاء!! "

" هاني .. أنا أختك الصغيرة .. أنا أخاف الظلام .. "

" لن ينفع هذا معي ! أعرف أن الظلام يخاف منك .. "

و هم بغلاق الباب لكنها دفعته كأخر محاولة .. " هاي !! .. أنسيت أنني جالبة للحظ ..؟؟ "

" ما الذي تقصدينه .. ؟!!!"

" نومي في سريرك يوم أمس أعطاك الحظ لتكسب صديقا اليوم .. هل فهمت ..؟؟ "

لعب هاني عيونته في سقف الغرفة و هو يغلق بجسمه مدخلها ثم وضع إصبعه على جبهة أميرة .. " لن تفلحي بهذا معي يا صغيرة .. هيا الى النوم .. أنا متعب .. " تتأبب مغلقا باب الغرفة ..

صرخت بصوت عالي و ضربت الباب .. " هاني أيها الشرير !! .. تغلق الباب علي؟؟ .. سأريك .. "

فتح الباب مجددا ليستفزها بينما كانت تضرب الأرض بقدمها " هس ! سيسمعك والدك و يأتي الى هنا و أنت تعرفين الباقي ههه "

بنبرة عالية .. " أتضحك؟؟ أنت تعرف أنني لا أخافه !! "

نظر إليها بمغزى فهمت له .. " هذا لن ينتهي الآن .. غدا سأريك أيها اللئيم .. "

أخرج هاني لسانه لها بينما ضغطت على شفثها بقوة .. " تبدين جميلة هكذا يا أختاه .. لكني قرأت في مكان ما أن الغضب يسبب التجاعيد ههه .. "

" هاني !!! أنا .. أنا .. أنا أكرهك .. أنت لئيم فعلا .. "

" و أنا أحبك ..يا عائلتي الوحيدة .. "

ركضت الى أحضانته تعانقه بأعين مغمضة .. " أنا أحبك أيضا لأنك كل عائلتي .. "

" أميرة؟؟ .. "

"أممم..!!!"

" والدك .. "

إنفطخت أميرة على وقع الكلمة و إبتعدت عنه فإنفجر ضاحكا .. ضربته على صدره بكف يديها " هاني!"

" شكلك جميل .. ههه "

" لن أكلمك أبدا .. " غادرت نحو غرفتها .. بينما همس لها .. " تصبحين بخير يا أميرتي الصغيرة .. "

إستدارت له مبتسمة .. " أحلاما سعيدة .. " دخلت غرفتها مغلقة الباب خلفها ..

دخل الى الحمام و خلع ثيابه ليستحم ، فظهرت هناء بكامل كيائها تحدثت نفسها .. " مرحبا يا هاني .. إنها أنا هناء .. أنت تعرف أنني أكرهك و الحرب بيننا لم تنتهي بعد ، فأنت من لا

يطلق سراحي إلا داخل هذه الجدران الأربع ، لكنني اليوم سعدت بنا نحن الإثنين ، لأول مرة نتفق على أمر و نتناسى واقعنا و أحزاننا الدفينة و كل الشكر لصديقنا إياد! " وضعت يدها على المرأة و تحدثت بصوت مسموع ..

" أنا أسفة يا هناء .. لم أسجنك رغبة و إنما خوفا .. ظهورك يعني موتنا .. أعلم أنك من كانت تتعذب و من لها الحق لتعيش لكنني أحاول أن أحمي ما تبقى منا .. أتعذب بدفئك آلاف المرات، و لم أعرف أننا واحد الى اليوم أصبحت حيا و لو لدقائق معدودة .. أدرك أنك كنت تختلسين النظر إليه بين الفينة و الأخرى .. لوهلة تمنيت لو أنه يدرك أنني حقيقتي لأكون نفسي و لو لمرة واحدة على الأقل و بعدها يمكنني الموت بسلام .."

" إنه جنون ما تفكر به جنون ! .. هل تظن أن معرفته بحقيقة ستغير من حياتك التعيسة شيئا؟؟..ماذا عن تهديدات علي و العجوز ياسين؟؟ إنها يملكان كل نفس تأخذه .. هل نسيت؟؟ .. إن عرفا سيؤذيانه أيضا!!.. أرجوك لا تقع في هذا .. لا توقظني! ، لا تضعف الآن و إلا سأتحرق داخلك! سنتدمر!! .. أقتلني الآن.. .. لا يجب أن يكون هناك بصيص أمل لي .. أرجوك!!"

" لكنني سعيد !! .. كيف أتخلى عنك؟؟ أنت هي الحقيقة!! إذا تخليت عن سعادتني فلم أعيش؟ منشطر في داخلي ، مشتت أكثر من أي شيء في هذه الدنيا .. قدرتي قاس فعلا !! حرم علي حتى أن أبتسم ، لن أستطيع الإستمرار إن لم أقوى على رؤية الحلم حتى و إن كان سربا .. كلا ! لن أستسلم .. لن أكف عن المحاولة مهما حصل ! .."

صوت رنين هاتفها المحمول قطع شرودها داخل الحمام فخرجت تركض داخل الغرفة عارية لا تضع إلا المنشفة على شعرها ..

" الو !!! "

" لم لم تتصل اليوم؟؟ .. "

" أسف سيدي .. لقد كنت منهمكا ب.. "

" منهمك؟؟ .. " خرق قلبها صراخ علي من الجانب الآخر للخط ..

" .. أنا اسف .. أعذرنى .. "

" على كل .. هل قبلت بصدافة إياد؟؟ .. "

" أنا .. سيدي .. !! "

" إقبلها .. إنها الأوامر .. "

" أحقا سيدي؟؟ .. "

" نعم .. السيد ياسين يأمرك بأن تطيع أوامر حسن فيما طلبه .. "

" لم أفهم جيدا سيدي !!! "

" هل أنت احمق ام تضرر دماغك من أثر العقاب ؟ الأمر بسيط و لا يحتاج الى شرح، قبل السيد ياسين صداقتك معه ، لكنه منزعج من تأخر تقاريرك اليومية "

" لم اقصد سيدي فقط دوام المدرسة و .. "

" لا أعذار ، انه آخر إنذار لك !! "

" حاضر سيدي .. و أسف لن يتكرر .. "

أسدلت ستائر الحزن و القلق بعدما أغلق علي الخط قبل أن تكمل كلامها ، سؤال واحد عشش في داخلها ما يريده الثلاثة من إياد فهي لا تريده أن يتأذى بسببها ، يبطن عادت الى المرأة تكلم إنعكاس صورتها المنكسر كأنها روح حية تسمعها

" أخبرني .. ما الذي علي أن أفعله؟؟ .. "

" أن تكوني سعيدة، و أن تعيشي اللحظة .. ببساطة "

" أ تعتقدين أنه العد العكسي للنهاية؟؟ .. "

" لم تقولين ذلك؟؟ .. "

" حينما تتحقق العديد من رغباتك تعني الوصول الى حدود الموت، أعتقد أنهما ينويان على شئ ما وقريبا جدا سيضحيان بي !! "

" هل أنت خائفة؟؟ .. "

" من الموت؟؟ .. لا .. خائفة من أن يحصل أسوء منه .. "

" و هل هناك أسوء منه ..؟؟ "

" أكيد .. !! "

" لم أنت متشائمة؟؟ .. المفروض أنه إذا إقتربت ساعات إحتضارك فلا شئ يمنع من أن تستمتعي قليلا .. ألا تعتقدين؟؟ أن تجمعي بعضا من الذكريات لتبتسمي للموت عند تذكرها، أ لم تقولي أنك لا تريدين الموت عابسة و حزينة؟؟ "

" أنت محقة .. "

لبست منامتها و أخذت كيس الأدوية من فوق المنضدة و ضمته الى صدرها لتقع في بئر الأحلام بعد يوم مرهق و طويل .

تمشي حافية القدمين في طريق معتم تتلاحق أنفاسها مع نغزات الخوف والمطر، بجسد يبكي دما تحت تلك الثياب الرثة التي لا تغطي من جسدها الضعيف و المتورم شيئا ، جمعت نفسها فوق صخرة كبيرة مكومة على الطريق تنظر للخلف مترقبة ، تأملت الحقائب المرمية على الجانب الفارحة الأفواه تنتظر أن يفتح الباب الأسود عليها تمر ، زادت غزارة الأمطار و برودة الطقس حتى كادت أن تخنق أنفاسها، حاوطت نفسها أعلى الصخرة تتابع تجمع المياه أسفلها وهو يعلو شيئا فشيئا ، وقعت داخله ليحملها التيار و هي تصرخ مع تخبطها داخله ،

الى أن خارت قواها و غاصت نحو البعيد ، لم تحس إلا بصلافة اليابسة تقطع جلدها و صوتا يهز كيائها و هو يناديها ..

" هاء !! .. إستيقظي !! هاء !! أجيبيني !! هل تسمعيني؟؟"

إبتسمت وقتما رأت خياله يتراقص أمامها و هو يخلع جاكيتته ليغطيها به، قطع سعادتها صوت إطلاق النار ليقع إثره إياد أرضا و تناثرت دمائه لتروي التربة الجافة ، صرخت بقوة

" إياااااااا!!!"

إستفاقت فزعت من الكابوس و قلبها يخفق بقوة و عرق الحمى يغسل كامل أوصالها، جلست تسند رأسها على السرير و أخذت كوب المياه برجفة من فوق المنضدة التي تجاورها شربت بضعة قطرات ، و تنهدت بينما تضع يدها على صدرها الذي زلله نبض قلبها المتسارع ، جمعت ساقيها الى حظنها في قلق كبير..

" ما الذي تنويانه فعلا؟؟ ما الذي يجعلكما مهتمين بإياد هكذا؟؟ هل تحاولان إيذائه عبري أنا؟؟ لا أريد له أن يتأذى بسببي!!.. أريد أن أحميه!! و لكن كيف و أنا لم أقوى حتى أن أحمي نفسي منهما؟؟ لا أريد أن يقع إياد بين أيديهم؟؟ لم أحس أن هناك أمرا خطيرا و أنني في خطر؟؟ أحس أنني على الشفير ما العمل؟؟ ما الحل؟؟ آآه سأجن!!" سندت رأسها الذي يدور من التفكير على الجدار البارد و غطت في نوم عميق ، لم تستيقظ إلا على صراخ أميرة ..

" هاني!!.. ألا زلت نائما؟؟.. لم لم توقظني؟؟.. هيا إستفق لقد تأخرنا على موعد المدرسة .. هيا!!.. إرتد ثيابك!.. أنا أنتظرك في الأسفل!!.."

" أنا قادم .. كفي عن صراخ لو سمحت!!.. سألحق بك .. "

نزل مسرعا يحمل محفظته بعشوائية مناديا عليها فيما كانت تلقي النظرة الأخيرة على هنادمها .. جلسا بجانب بعض في السيارة التي طارت بهما الى الثانوية أين كان إياد ينتظر هاني ..

" لم تأخرت هكذا؟؟.. "

رمى محفظته على الكرسي و إبتسم .. " صباح الخير!"

"صباح النور ، كنت قلقا عليك ظننت أن حالتك ساءت و أنك لن تستطيع الحضور!! .. "

" لا أنا بخير .. لم أستيقظ باكرا وحسب .. "

أطلت أميرة من خلف ظهره باسمه .. " الشكر لي فلولا لي لما إستيقظ أساسا .. "

احست ببروده و تجاهله لها بعد أن زم شفثيه .. " أخبرني .. هل ستكون متفرغا اليوم؟؟.. "

" لا أدري ، لم!!"

" أريد أن أشتري قطع غيار لدراجتي فأحدهم دمرها أمس!.. على كل ما رأيك أن تأتي معي ؟ سنتسلى!"

" أنا .. "

" هل أستطيع الذهاب معكما؟؟ "

" لا .. "

" أرجوك .. أن تسمح لها .. "

" قلت لا .. أنا لا أريد أن تركب معي ببساطة .. "

" و هاني لن يذهب بدوني!!.. "

" لا تقولي لي!!.. هل أنت قدماء التين يمشي بهما؟؟ .. "

" هاي أنت!!.. "

" توقفا أرجوكما!! .. كنت أرغب أن اقربكما من بعض حتى تصبحا أصدقاء لكن أظن أن هذا اصعب مما اعتقدت!! "

" من سيصاحب إعصارا مثل هذه؟؟ انها كارثة!! .. "

" و من يرغب بمصاحبة قرد مثلك..؟؟ "

" اخرسي!! "

" إياد!! "

" ماذا؟؟؟.. إنها من بدأت .. "

" أنا و لم أنا؟؟.. أنت رفضت إصطحابي!! "

" نعم، لن تركبي معي، و لن يذهب غيره (و أشار نحو هاني) معي!! " ثم اقترب منها مشيرا بإصبعه نحو وجهها

"..وأنت غير مدعوة.. "

" ماهذه الورطة التي وقعت فيها .. إنهما مثل النار و الزيت لا يلتقيان مطلقا " كلم هاني نفسه زافرا فيما كزت أميرة على أسنانها بغيض ..

" أميرة أرجوك أن تهدئي .. إجلسي الآن وسنتحدث لاحقا عن هذا!! .. "

" .. كيف تطلب مني أن أهدأ .. ماذا عن ما يقوله؟؟ .. أنا لا أريد أن اهدأ!! أريد أن أشرب دمه لما لقبني به الغبي المعتوه!! .. "

" ألن تخرسي .. يا سليطة اللسان؟؟ "

همس هاني " حسنا ، هيا لتتحدث خارجا فكل من في الصف يتفرج على ما يجري .. "

أشاحت بوجهها عنه " غير مهم .. "

زفر و قام بسحبها من ذراعها بالقوة ليغادرا الصف، فيما لحق بهما إيداد دون أن يشعرا بذلك ، توقفوا في البهو مبتعدين عن القسم بعدة أمتار أين سحبت أميرة ذراعها من يده بقوة و سخط واضح

" كيف تجرأ على إمساكي و سحبي كغنمة من الصف و أمام الجميع !!"

" أميرة أنا أسف ..!!"

صرخت في وجهه بنبرة غضب قوية .. " أكون سيدتك فكيف تجرأ على سحبي هكذا !!"

إنفجرت عيناه ثم أنزلهما الى الأرض " أنا أسف سيدتي !! لكن عليك أن تهدي .. "

" و لم أفعل !!.. ألم ترى كيف أهانني أمام كل من بالقسم؟؟.. لم تدافع عني !! هل أعجبك الوضع؟؟ "

" لأنك لم تسمحي لي بالتحدث !!"

حاول أن يتقرب منها و يربت على رأسها لكنها إبتعدت عنه للوراء متحاشية لمست يده ، ثم تنهدت بقوة و همت للعودة الى الصف لكنها توقفت و كلمته من جانب عينها وهي تعقد ذراعها ..

" ..أنت لن تغادر إلى أي مكان من دوني ، إنها الأوامر و هذا نهائي .. "

ثم إبتعدت بينما وقف هاني يزفر في حنق مفكرا ما الذي عليه فعله .. جلس كل من الثلاثة في أماكنهم وكل يفكر في ما حصل ..هي تفكر فيه ، و هو منزعج على صديقه أما هاني فواقع بين الأثنين .. سحب إيداد ورقة و كتب عليها .. " إتبعتني !! .." ثم إستأذن من الأستاذ للخروج واضع الورقة بجانب هاني الذي كان شاردا لدرجة لم ينتبه على وجودها إلا بعد مرور نصف ساعة تقريبا فاستأذن هو الآخر و غادر الصف باحثا عنه ..

" هل حضرت أخيرا !!ظننتك تهت في أروقة المدرسة !!"

" أسف لم أنتبه الى رسالتك .. "

" نحتاج لأن نتحدث .. "

" أعلم ما الذي ستسأل عنه .. لكني لا أملك جوابا ، و لا أريدك ان تسألني .. "

" أنت فعلا غبي !!.. "

" لم تقول ذلك؟؟ .. "

" أنا أريد أخرج من الثانوية الآن و أحتاجك أن ترافقني لهذا إستدعيتك ، و ليس كما ظننت .. "

" هه أسف .. لكن كيف سنخرج و متى نعود؟؟ .. "

" لا تقلق سنعود قبل أن ينتهي دوام الدراسة و لن ينتبه أحد لغيابنا "

تهلل أسارىره فوافق فورا و غادرا المدرسة عبر الجدار الخلفي لها ..

" لم أقم يوما بكسر القوانين يوما، أنه شعور مجنون أن تتحدى كل شيء و تمشي عكس التيار !!! التمرد أمر جميل و رائع !! لا أعلم ما إذا كانت هذه سعادتني بعد أن عدت أتنفس كالبشر أم مجرد فرحة لي معه ، قربي منه أم تمردني !!! "

إفترش الرصيف مكلما نفسه بحيرة و شرود متأملا تعاليم إياد المبتسمة فيما يبتاع البوظة ، لم يخرج عن جموده إلا عندما داهمه الخجل من إكتشافه لما يفعله ، توقف نبضه لثواني كأنما كان يخنتق أو أنه نسي كيف يتنفس بدأت دقات قلبه في التسارع فيما يعد خطوات إياد التي تقترب نحوه

" لم أعرف أنني وسيم الى تلك الدرجة صراحة ههه !! "

" ما الذي تقصده؟؟ "

" أقصد أنني أجذك مسليا وقتما أمسكك تطالعني هكذا !! "

" أطلعك؟؟ أنا؟؟ أنت مخطئ لم أقم بذلك مطلقا؟؟ و لم أفعل ذلك؟؟ "

" أقسم أنك لو لم تكن شابا لوقعت في نظراتك تلك حبا !! ههه !! "

توردت وجنتاه فجأة بينما صاح فيه غاضبا " هاي أنت !! "

" لا !! إلا هذا!!! و تخجل كالفتيات ههه !! على كل تبدو وسيما هكذا أيها الأحمق ههه " إنفجر إياد ضاحكا بينما تطالعه عينا هاني بصمت لسبب لا يفهمه، لوهلة ظن أنه سمع نفسه يقول

" إن إبتسامته تجعله رقيقا و وسيما فعلا .. أريده أن يبقى سعيدا هكذا دائما !! "

" أجننت؟؟.. ماذا إن عرف حقيقتك؟؟ ستكون النهاية له و لك هل نسيتي؟؟ " إرتعش على صوت الواقع في أذنيه و أنزل رأسه منتكسا و شاردا

" هاني !!..انا أحدثك ألا تسمع؟؟.. "

" أسف شردت قليلا و لم أسمعك !!.. ماذا قلت؟؟ "

" قلت لا يوجد بوظة بالذوق الذي تحبه هل أحضر ذوقا آخر كشكولاتة مثلا؟؟ "

" أي ذوق آخر لا يهم "

عاد إياد سريعا و جلس بجانبه بينما كان الحزن يغطي روحه " خذ .. هذه لك !! "

" لا أريد ، شكرا لك !! ألا نغادر؟؟ " هم بالوقوف و الإبتعاد لكن إياد أوقفه ..

" ماذا بك؟؟.. تبدو منزعجا !!.. "

" لا شيء "

" أنت خائف؟؟من أن تكتشف أميرة أنك هنا معي!! "

همهم بسهواً .. " الصعب أن تقنع الميت أنه حي يتنفس !! لن تتحمل الألم الذي أحمل في داخلي إن كشفت عنه !!.. "

" لم أسمعك جيداً ماذا قلت لتوك؟؟ "

لم يجبه و بقي صامتا فيما تابع إياد " .. أ تسائل لم أنت دائم التوتر و الخوف؟؟ "

تنهد راسما إبتسامة زائفة " بماذا تخرف يا هذا !!.. أنا أريد أن أجعلك تشفق علي، لأخذ قطعة البوظة التي خلف ظهرك ، ماذا هل تظنني أعمى؟ و لو كنت كذلك فسأستمر رائحتها من على بعد أميال بعيدة ، وبما أن خطتي الأولى لم تتجح فسألجئ للثانية " و إقترب خطوة منه بخفة

" ثانية !! ماذا تقصد .. "

بخطفة سريعة أخذ هاني بوظة من يده و هب يركض مبتعدا يتبعه إياد راكضا و هو يضحك صارخا

" أنت !! لقد غششتني لا يجوز ذلك !! أعدها إلي .. "

" أحلم فقط .. "

حشرت أدواتها داخل محفظتها بعد إنتهاء أخر حصة دراسية لها ، إستدارت للخلف لكنها لم تجد أثره له، جعدت رقبتها لفوق تتقصى عن مكان صديقه الذي كان شاغرا بدوره أيضا ..

" ترى الى أين ذهبنا؟؟ "

خرجت زافرة من القسم تسد أذناها أفكار و غيرة لا مبرر لها، توقفت عند مدخل الثانوية و سندت ظهرها على الجدار تنتظر أي أثر لهما، أشعلت الغيرة أخر فتيل صبر لديها لم تعرف ما إذا كانت تغار على هاني أو عليه ، كزت على أسنانها وقتما تذكرت عدم إكتراث إياد لها ، نظرتة المتعالية و بسمته الساخرة منها زادتها سخطا، إستنزفت أخر فرصة لتقرب منه حتى ، إنه ينبذها لا بل يكرهها بشدة ،تشوش عقلها و لم تعرف بماذا تحس تحديدا لم تعد تعرف لماذا قربها منه مهم بالنسبة لها؟ أ هي مشاعر أم مجرد تحد؟؟ بعد العديد من المشاحنات الصبانية التي تنتهي غالبا بفوزه عليها ، كانت واقعت بين الإعجاب و الإنتقام و لن تتخلص من هذه الحيرة حتى تبعد العائق بينهما " .. هاني !! "

" هيا أسرع .. لقد تأخرنا كثيرا هذه المرة .. " همس هاني لإياد الذي كان يكبت ضحكاته حتى لا يسمعها أحد ..

" المهم أننا وصلنا .. "

" إخرس كله بسببك .. إذا كشفنا اليوم فسيكون بسببك .. "

" و لم تلومني أنا .. لو لم تسرق بوظتي لما تأخرنا .. " همس إياد بغضب مصطنع ثم كتم ضحكته وقتما تذكر هاني واقفا أمام محل الأحذية النسائية، لكنه نال منه ضربة قوية على رأسه . دخلا خلصة و أخذوا حقيبتيهما و خرجا الى البهو ، إعتذر إياد ليدخل الحمام بينما تابع

هاني المشي نحو الخارج مدندنا بسعادة، إبتسم ما إن رأى وجه أميرة و إقترب راكضا نحوها

..

" أنت هنا !!!.. لو تعلمين كم أنا سعيد يا أحلى أميرة .. "

" سعادتك واضحة كالشمس لا حاجة لأن تخبرني؟؟.. "

أحس هاني برد أميرة المقتضب و بدى عليها الاستياء أيضا ..

" هل أنت غاضبة مني؟؟.. "

عقدت ذراعها " لا .. "

" إذن ماذا بك؟؟.. لم تحدثيني هكذا!! "

" أكلمك هكذا لأنني مللت من تصرفاتك المستهترة و الأنانية .. "

" ماذا فعلت حتى تقولي عني أنني..!!.. "

" لا يبدو أنك تذكرت أنني موجودة اصلا!! .. أنني مسؤوليتك الى أن أعود الى المنزل ..كله بسبب حسن معاملتي لك ، أبي كان محقا ..كان علي أن أبقى المسافة بيننا حتى لا تتعدها !! "

تجمد عند آخر السلم بعدما دوى صدى الصفعة بين أضلع بهو المدرسة " ما كان ذلك؟؟ "

كان يجر نفسه المتحجرة ساخطة و الحزينة من دون أن يعرف الى أين، جلس يسند نفسه الى الجذع خاوي المستلقي على ضفة النهر، فيما تحجب دموعه تبعثر أشعة الشمس الدافئة على سطح المياه المتموج، إنهار وقتما مرت على عقله لحظات تهوره و سعادته، أدرك أخيرا لم كانت الحرية ضرورية بالنسبة له بقدر الهواء الذي يتنفسه، ضرب بقبضته على تربة الأرض الباكية بغضب حتى يوقف سيلان الذكريات عن التدفق ، تألم لحزنه الدفين ، غضب على صمته المبهم، كشفه عن سر قتله لسنين ، أمسك شعيرات رأسه المهتز بين كفيه، غير مصدق ما سمعه ،كل تلك القسوة و الحقد و الإذلال ، وقف يدور في حلقات لاعنا نفسه في غضب و عجز واضح

" اللعنة .. اللعنة !! .. اللعنة عليها.. إنها الشريرة فعلا !! اللعنة "

إفترش الأرض بعد أن ثقل رأسه من التفكير وتعبت قدماه، أقفل جفنيه منتهدا بينما تنسحب منهما قطرة صافية تتلألئ

" إياد !!! إستيقظ ، لم أنت نائم هكذا ستتجمد من البرد ..قم بسرعة .. "

إستنفروا و وقف بسرعة ينظر يمنا و يسرة، فيما تسرب الوجد داخله، كان عليه أن يركض لأميال عسى أن يخف شعوره بالضيق و الحسرة، أضاع مفتاح قفل بوابة جنونه الصدئة فيما كان شبح صديقه المتألم و المهان يمر على ذاكرته كن لا ينكف أن ينعيه في كل نفس يأخذه ، توقف يركع ممسكا بساقيه في تعب تنقطر منه دمعات الحيرة و الألم .

في منزل ياسين..

وقع أرضا متعصرا من الألم بعدما لكمه علي على بطنه بقوة، فيما تلتصق عيونه الفارغة بياسين الذي كان يدخل سيجاره ببرود تام

" رغم أنك تعرف ما سيحصل لك لكنك عزفت عن تنفيذ الأوامر، لا بل تمردت أيضا .. "

ركلة أخرى من علي الذي كان يصيح في غضب ..

تقطرت بضعة قطرات من فم هاني الضاغط على بطنه فيما كادت تنفجر عيونه الجافة من الإحمرار صراخ أبكم صدح من داخله مترجيا

" إياي !!.. ساعدني !!.. "

" سيكون عليك تحمل العقاب.. غادر الآن معلم الفنون القتالية ينتظرك .. "

وقف يترنح هاز رأسه في صمت و هم بالخروج لكن صوت ياسين أوقفه ..

" هاني !!.. إنها أخر فرصة لك .. أنت تعرف العواقب إن نفذ صبري .. "

" سأخفي .. أنا أعلم ذلك جيدا سيدي .. أسف مرة أخرى .. "

وقف ياسين بعد أن غرس سيجاره في المنفضة فوق مكتبه الرمادي ، إقترب منه ولكمه على وجهه بقوة فجرت الدم من أنفه ، إستند على كتفه و همس في أذنه بفحيح

" لا تقل أسف .. أنا أكره الأسف بقدر الخطأ !!.. أقسم يا هاني، لو عدت لتخريب مخططي مجددا ، سأقوم بقتلك وبيدي .. " و ضغط على رقبتة بكلتا يديه الى أن جحظت عيناه و إستحوذ السواد على عقله و روحه لم تفلح كل جهود علي بتخليصه بعد أن إرتخى جسده تركه ياسين ليرتطم وجهه على الأرض تتطاير من عينيه الدموع مغشيا عليه

" معاذ !!.. هذا أنت !!.. إشتقت إليك .. " حاول أن يلمسه لكنه رفض و تراجع للوراء ، حاول أن يترجاه لكن صوته إختنق ولم يقوى على الخروج بكى و هو يرى شبح معاذ يندثر وسط الضباب الذي حاوط المكان من كل جانب ، بدأت الامطار تتساقط ..

" هيا إستيقظ .. هيا .. إستفق .. كلمني !!.. هاني .. " إستنفر على صوت علي الذي يناديه، فتح عينيه بسرعة وحاول تعديل من جلسته بخوف رغم الدوار الذي أصابه ..

" أنا أسف سيدي !!.. أسف .. "

" جيد أنك إستفتت .. " وضع علي كوب الماء على المنضدة و عيون هاني ملتصقة عليه ليهدأ حلقة الجاف و العطش لكنه أبى أن يناوله إياه .. ووقف يضع يديه خلف ظهره مقابلا له

" لقد نفذت هذه المرة بمساعدة مني !!.. لو لا هذا لكنت ميتا الآن .. "

إبتلعته الكآبة و الحزن الدفين و همس لنفسه " ليتك تركتني أموت ...! كنت لأرتاح !!" وجه نظره الى الأرض و إستدرك بهممة " شكرا .. سيدي .. "

" لكن هذا لن يمنع عنك العقاب .. غادر الآن .. معلمك ينتظرك .. "

وقف مترنحا .. بينما هم علي بفتح الباب له .. " أتمنى أن يكون ما حصل درسا لك .. لا تنسى ياسين لا يسامح .. "

صفق الباب خلفه بعد أن غادر في صمت تام ممسكا جنبه الأيسر الذي كان يؤلمه بشدة، إستقل سيارة أجرة توصله الى مواعده، بخطوة تقارب أخرى وصل الى باب الجحيم الذي ينتظره ليشعل أخر فتيل أمل له .. يعرف أنه إتقرب من حافة النهاية، وضع يده على قلبه ، سحب أخر جرعة من الهواء و دخل بهدوء رغم أنه يدرك أنه لن يخرج سالما من هناك .. مرت ساعات من القتال والضربات المتوالية و تلونت الأرضية كلها باللون دمائه المتقطر الجروح العديدة ، لم يكن مسموحا له الإستسلام أو التراجع .. كان يهم بالخروج ساحبا قدميه من التعب و الألم لكن صوت مدربه إستوقفه

" هاني !!.. "

" نعم سيدي؟؟ .. "

" .. لا تغضب .. إنها الأوامر و أنت تعلم .. "

" لست غاضبا سيدي .. و شكرا لك .. "

" قد تكون أخر مرة نلقي فيها .. "

" لم سيدي؟؟ .. "

" لا وقت للإجابة على سؤالك .. أريد أن أخبرك شيئا .. "

" تفضل سيدي .. " وقف هاني بجسده المائل مصغيا لمعلمه ..

" الإستسلام يعني الموت لمن هم مثلك .. "

" أعلم سيدي .. "

" لا تستسلم لهم .. لا تتراجع .. لا تكن ضعيفا .. أنت قوي كما أنت .. واجه لأخر رمق في حياتك .. و لا تسمح له بأن يدوسوا على ذكراك مطلقا "

الألم خدر كل إحساس فيه أدرك أن الموت يتسلل إليه رويد رويدا ، يلعب به حتى ينهك فيقضي عليه ، كان عليه أن يموت على يدي ياسين لم تسامح الموت معه؟؟ ماذا يريد منه بعد؟؟ الموت لم يكن عطوفا معه أبدا !! أخذ والده منه ، و أعز أصدقائه أيضا لقد دمره تدميرا ..

"التخدر أسوء من الألم ..!! "

أن لا تحس بشي كأن تتلقى ضربات من سكين متجمد لا تحس إلا ببرود الذي يعيش داخلك في كل مرة يخترقك فيها ..نظر ببلاهة غير مدرك لما حوله أو من كان يتبعه خلسة .. و همس ..

" هناء .. نحن نموت !!.. هناء أين أنت؟؟ تخدر قلبي !!أحتاج وجودك حتى اتدفئ بأشعة الأمل الذي تزرعينه في داخلي !!..لقد تحطمت !!.. أنت أيضا إختفيت؟؟.. الى أين أذهب و ما الذي عليه فعله؟؟ هل النهايات تكون هكذا عادة؟؟لم إستعجلت لتنتهي؟؟ لم أرد لها هكذا؟؟"

تجمد فجأة " .. مهلا .. لم أنا هنا !! " تأكد له المكان .. إنه هو .. لقد عاد !..

تنهد بحزن " إذا كانت هذه النهاية فستكون كما أريد .. لا كما يريد الجميع .. !!"

إقترب خطوة أخرى يعرج فيما تمر على مخيلته العديد من البسمات و اللحظات الجميلة .. دمعت عيونه بحرقة .. همس بفحيح .. " لقد عدت !!عدت لأنتقم !!.. و لن أغادر من دون أن أسفك دمك !"

طرق الباب سمع صوته الذي تأكل بفعل الخمر و الزمن و الخطايا .. كور قبضته عندما تذكر .. إشتعل غضبا و لم يستطع أن ينتظر أكثر ، كسر الباب و سحبه من تحت حطامه مترنحا ، جره من شعره غير مهتم بصراخه و تألمه .. " لم تضربني؟؟ من أنت؟؟ ماذا تريد مني تحديدا !!"

" سأعاقبك على ماحصل لي .. "" أنا لا اعرفك فكيف ..؟؟" إنهال عليه بالضربات و اللكمات الموجعة على طول جسده صارخا في داخله " نعم حصل لي شئ ما !! نعم حصل !! لكن ماهو؟؟ لم لا اعرف ما الذي حصل لي؟؟ كله بسبب هذا الارعن سأقتله !! "

لم يسمع الخطوات الراكضة إليه " هاني .. ماذا تفعل؟؟ أتركه !! انت تؤذيه .. إهدأ.. !"

" هل تريد أن يموت على يديك؟؟ ما الذي حصل لك؟؟ اين قلب هاني العطوف؟؟"

إستمر بضربه دون تعب مجيبا كالآلة .. " قلبي؟؟ لا تسألني عن قلبي !! .. فما عدت أعرف كيف هو !! أو أنني أمل واحدا أصلا !! و ما عدت أعرف كيف يعيش الفرد منا من دون قلب !!... إذا كنت تملك جوابا فأعلمني فقد إبتلعني السواد منذ زمن مر !! امتزجت روحي معه و لا اعرف كيف اتخلص منه .. انه جزء مني كيف ابتر مني ماعهدت أن اتنفسه .. " ثم زفر بحدة " و إن كنت أملك واحدا فلن أشفع لهذا الجشع القاتل !!" و إنهال عليه بالركلات المؤلمة فيما صراخ كمال يطلب الرحمة يصدح فالأجواء

" أنا لا أعرف ما قمت به !! لكن أرجوك سامحني !! أنا لن أعيدها !! أرجوك !!"

حاول إيداد سحبه بلا جدوى " هاني أتركه .. إبتعد عنه! أنت تقتله !!"

جثى هاني على صدر كمال وإنهال عليه باللكمات و رغم قبضته الدامية لم يتوقف بل زاد صراخه و غضبه سخطا " هل تحس أيها الجشع؟؟ هل تتألم؟؟أنا أيضا تألمت ضعف ما تحسه أنت لدرجة ما عدت أحس بشئ داخلي !! لقد صمني الصمت المروع الذي لا ينتهي .. أين ذهبت بقلبي؟؟ أين هي سعادتي؟؟ لم أخذتها مني؟؟ سأقتلك ! سيتوقف نبضك مثلما سرقت دق قلبي و فرحته ، على قلبك أن يصمت للأبد مثلما سكنت روحي أيضا وماتت !! "

" هاني .. أتركه !! إنه مجرد عجوز !! هاني !! " أوقف قبضته قبل أن تصل الى وجه العجوز كمال ثانية شخط فيه ببرود و قسوة " أبعد يدك عني ..!"

فرغ لقسوة هاني لكنه لم يستسلم و بلع ريقه " إسمعني .. أتركه! أنه .. "

" أتركه ؟؟ أتخلى عن إنتقامي منه مثلما تخلى عن الصغير معاذ و تركه يموت ؟؟ "

" معاذ !! من معاذ ؟؟ هاني أنت .. "

دفعه بقوة حتى ارتمى ارضا و قال ببرود " إنه المسؤول عن كل ما حصل !! وحده المسؤول !! الملام عن كل ما أصابني !! إنه العطب الذي بلّيت به منذ الصغر .. علي أن أتخلص منه مثلما فعل مع معاذ!! "

" معاذ !.. أنت !! "

" اخرس أيها .. " لطمه بقسوة و برود فيما صاح إياد مجددا

" إرحمه .. فرما .. أنظر إنه عجوز سكير لا يملك حتى كيف يدافع عن نفسه .. لا يستحق .. لن تكسب شيئا من أذيته !! "

توقف عن ضربه فجأة و قال ببرود " لم يرحم ضعفنا يوما و أنت تطلب مني أن أغفر له ؟؟ حسنا .. أخبرني أيها السكير أين أخذت الفتى معاذ ؟؟ "

" أنا لا أعرف .. من تقصد ؟؟ "

" الصغير الذي أجبرته على العمل رغم المطر و مرضه ، الذي كان يحتضر تجت الخشب و لم تهتم لأمره الذي نزع حتى الموت و رميت رماد سيجارتك فوقه فيما كان ينزف حتى الموت .. نكثت بعهدك معي بالإهتمام به و قتلته !! هل تذكرت أم أنعش ذاكرتك أكثر ؟؟ " ضربه بقوة و حقد أكبر و أحاط بيديه فوق رقبتة حتى يخنقه .. " تكلم !!.. فلا وقت لك عندي !! لا رحمة أسعفك بها .. لا مغفرة تحميك من الجحيم! "

" هاني !! لا تتصرف بجنون !! أتركه! أنت تقتله !.. " حاول أن يفك عقدة يديه عن رقبة كمال بكل قوته لكنه لم يفلح فصاح " أخبره !! هيا تكلم .. أين جثة الصبي ؟؟ "

نطق كمال أخيرا بصوت أجش " أنا لا أعرف فقد رميه بعيدا في مزبلة قرب محطة القطار و لا أعرف بعدها ما .. "

" تجمدت يدا إياد و كرر " رميته ؟؟ "

أحرق الدموع عينا هاني الواسعة " رميته !! رغم أنني ترجيتك أن لا تأخذه !! " أكمل من بين أسنانه

" رميت جثة أخي الصغير حتى تفلت من العقاب!! سأقتلك و أترك جثتك تتعفن في إحدى المجاريير لتأكلها الجرذان .. "

زاد ضغط أصابعه على رقبه بعيون تبكي دما و كرها ، و كمال يصارع من أجل الهواء " ظننت أن لا أحد سيعود من أجله !! ظننت أن لا أحد سيعرف أو يأتي ليقتص حق الجميع منك! .. "

" هاني إهدأ.. أتركه .. لا تفعل ذلك !! .. "

خفف قبضته قليلا و تكلم بحزن فيما أمال رأسه جانبا دون أن يرفع نظره نحوه " حتى الموت لا يطفئ الفتيل الذي فجر قلبي إلى شظايا صغيرة .. لا شيء !!.. لكن على الأقل يمكنني تخليص الباقين من شره !!.. لن يكون هناك آخرون مثلي !! لن يكون !!.. "

" هاني أرجوك ، أنت لن تسترجع ما خسرتَه بقتله ...!"

" وفر رجائك لغيره !! .. مثله لا يستحق حتى أن يعامل معاملة الكلاب، فحتى الهواء الذي يتنفسه ملك للمساكين الذين عذبهم و إستغل ضعفهم ..!"

" أتركه .. أتوسل إليك أن تفكر قليلا .. لا .. "

" وحتى إن ترجيتني فلا قلب لي حتى يغفر ..(قدحت نظرة الموت في عينيه فيما تأمل ماضيه في عيني كمال).. مت لتسلخ روحك على أعمدة جهنم !!"

خاف إياد من نبرة هاني و جنونه فبات يترجاه " أتركه يا هاني !! أتركه من أجلي؟؟ .. " توقف عن الضغط على رقبة كمال و تكلم ببرود دون رفع رأسه "من أجلك؟؟ أنا لا أعرف من تكون؟"

وضع يده على كتفه " أنظر .. أنا إياد !! إهدأ و أتركه ..!!"

رد ببرود و قسوة إقتصر له بدن إياد و أوقف قلبه " أنا لا أعرف حتى نفسي .. كيف سأعرفك بمجرد النظر إليك الآن! .. أبتعد قبل أن أذكىك و لا تتدخل في هذا .. إنه حساب بيني و بين هذا الشيطان " و عاد الى خنقه مجددا ببرود و حقد واضحين

سعل كمال بقوة و بدأت عيونه تحمر و يفقد وعيه رويدا رويدا .. " أقتلني .. يكفيني عذابا !!صراخ ذلك الصبي لا يتركني أعيش بسلام ..حتى روح معاذ لا تتركني ولو دقيقة .. ترا..ودني كوابيس عنهما دو.. ما .."

" إن كنت تظن أن كلامك هذا سيجدي نفعا فأنت مخطئ لن أترك حق أخي ..لن أفعل !!"

" هاني أنت تؤذي روح معاذ بما تفعله !!.. توقف أرجوك !! "

سحبت اخر كلمة لإياد فرامل عقل هاني فتوقف عن الضغط على رقبة كمال الذي تنفس من جديد و سعل ما إن دخل الهواء إلى رئتيه و وقف مبتعدا بتعب و شرود واضح فيما تتابعه عيون كمال الخائفة

" إذهب من هنا !! لا اضمن لك أنه لن يعود إليك !!.. إرحل !! "وقف كامل يتحسس رقبته بألم و ركض بترنح يعانق أطراف الطريق فيما كان إياد يتبع هاني بقلب مكسور و محطم ..

" لم كل هذا الحزن !! أتمنى فقط لو أخذ ألمه منه .. أن يسمح لي أن أحمل حزنه عنه .. لكنه عنيد .. هاني !! ماالذي علي فعله حتى أخرجك مما أنت فيه .. " مسح دمعة خاطفة من عينه الملتصقة على ظهر هاني الماشي بترنح

" وحيد أنا .. أجر حقائب اليأس خلفي .. عالق أنا و لا أحد يفك قيدي .. هربت مني الحلول حتى الموت خاصمني .. لا أحد رفيقي حتى أخي تركني .. "

كان يهمهم من دون وعي جارا ساقه المجروحة حزينا لا يعرف الى أين تأخذه الطريق تتبعه خطوات إياد بهدوء متحسرا على ما تلتقطه أذناه من أنين فقد كان يفهم ألم صديقه ووحدته .. كان الخوف يعصف به وقتما لمعت قطرات دمائه راسمة المعبر الى وجهه المتورم، بقي يبعده عنه بخطوات إلى أن توقف وجلس على حافة الرصيف ينظر للفراغ و العتمة حزينا بانسا ، ألم جسده لم يضاهي الفراغ و البرود الذي يحتله

همس بحزن إياد حينما عرف أي مكان توقف فيه هاني " .. لحظات سعادته كانت محصورة في هذا المكان وحسب !! لكنني .. هنا!! لن أتخلي عنك ، و إن فعل الجميع .. لكن كيف أقترب منك و قد بنيت كل هذه الجدران الشائكة لتمنعني من الوصول إليك؟؟ يا إلهي ساعدني !! إنه في حاجة الى مساعدتي و لكن كيف؟؟ كيف؟؟"

و ضرب الجدار بقبضة يده فيما إبتسم هاني لظلام الذي يقابله بغم متورم متذكرا آخر بوظة له و إبتسامة أياد المستفزة و طيف شاحنة البوظة الغائبة لم يقوى على الوقوف جراء البرد الذي شل أوصاله فجأة و زاد جراحه ضغطا و ألما ، إنطفئ الأمل في عينيه و ما عاد قادرا على تحمل الألم و الحزن ، ضاع وسط اليأس و البؤس الذي لا يترك له سبيلا .. عائق ساقيه باكيا ..

" إياد .. !! أنا اتألم .. ساعدني .. أرجوك .. إياد !!.. " حجبت الدموع ما تبقى من عينه المتورمة

و أحس بشخص ما يهز كتفه صارخا بقلق .. " أنا هنا؟؟.. لم تبكي؟؟.. هاني !! هل تسمعني؟؟ أنا هنا !! هل تراني؟؟ هل عرفنتي؟؟ أنظر نحوي !! أنه أنا !! "

لم يقوى على أن يتعرف على أحد بعد أن تمكن منه التعب و المرض ليتداعى رأسه واقعا على صدره ، كان يحس أن ذلك الشخص مألوف لديه و أنه يحمله بعيدا الى مكان ما الى أن تلقفه الظلام ليبتعد عن أرض الواقع ..

" هاني !! هاني ... اللعنة !! ما كان علي أن اتركك تنزف لمدة طويلة .. كله منك .. عنيد !! هاني .. إفتح عينيك أرجوك هل تسمعني؟؟ هاني !! على الأقل أخبرني من سبب لك كل تلك الطعنات؟؟ هاني !! اللعنة..!! " هرول مبتعدا يحمله على ظهره بذعر الى أقرب مشفى

في منزل ياسين ..

" سيدي ، كدت تقتله .. "

" أنا أعلم .. " نفث ياسين دخان السيجارة بعيدا و هو ينظر عبر النافذة ..

" لو أنه مات لكانت خطتنا ستفشل .. !!"

" أعلم يا علي ..! "

" سيدي .. لقد .. "

" قلت أعلم!! .. "

رمى ياسين المنفضة الزجاجية على الجدار بقوة لتتحول الى جمع من الشظايا ..

" سيدي !!.. "

" ألا تفهم يا علي .. أنه مثل هذه المنفضة .. تبدو غير مؤذية لكنها إن إنكسرت ستكون سبب موتك !.. هل فهمت .. كان علي أن أذكره بمن يكون .. "

" لكن .. سيدي ماذا نفعل الآن ؟ .. "

" لم نعد في حاجة اليه .. أصبح ورقة محروقة.. سنضحي به قريبا فلم يبقى الكثير أساسا .. "

" هل علينا ذلك سيدي .. أقصد .. !!"

" ماذا بك يا علي .. سيكون الخيط الذي يوصل حسن إلينا .. علينا التخلص منه قريبا .. "

" و ماذا عن الأنسة أميرة؟؟ .. "

" ستكون قربانا لصغيرتي .. !"

" كيف ذلك سيدي .. هل سن.. "

" لا لن نفعل ذلك .. بل سنقوم هي بذلك .. سنقودها للجنون و الإنتحار و لن يكون بمقدور حسن إنقاذها"

" لم أفهم ذلك جيدا .. !!"

" سأخبرك .. "

في المستشفى ..

قطبت الطبيبة جروح هاني و ضممتها بعناية و حقنته بمهدئ ليخفف عنه الألم و ينام قليلا، خرجت من باب الغرفة بعدما تأكدت من إستقرار حالته ، بعدما أوصت الممرضة على مراقبته ..

" ها يا دكتورة .. أخبريني .. !!"

" لا تخف !!.. إنها بخير .. أعطيتها مهدأ و ستنام لحد الصباح .."

" أنا لا أقصد فتاة ! أنا أقصد صديقي الذي أحضرته قبل قليل و كان مضروبا بشدة .. "

" أية مزحة هذه ! أنت من أحضرت فتاة الى هنا و تقول الآن أنها شاب ؟؟ لا يبدو لي أنك من معارف الفتاة أم أنك تناولت شيئا ما ؟؟.. "

" أسف دكتورة أنا لم أقصد أن أشوش تفكيرك ، الحقيقة أنه زميل و صديق لي ، إنتقل حديثا الى الثانوية التي أدرس فيها ، و الآن بعدما سمعته منك إختلطت علي الأمور فعلا !! .. "

" لحظة لو سمحت !.. لتأكد " و فتحت باب الغرفة و أشارت بإصبعها نحو هاني الذي كان ينام بسلام فوق السرير الطبي ..

" هل تقصد تلك هناك ؟؟.. "

" أجل !!.. أنه هو .. هاني .. "

" هه .. يا سيد .. إنها فتاة .. لا أصدق انها قد خدعتك بكونها شابا .. "

" غير معقول ! لا أستطيع التصديق .. أنها مسجلة في المدرسة على أنها فتى.. يعني بإسم هاني .. "

" إذا كان هذا صحيحا فسيكون تزويرا !! .. على كل علي أن أبلغ الشرطة بما حصل معها .. "

" همت الطبية بالمغادرة لكنه أوقفها .. "

" أرجوك يا دكتورة لا تفعلي !!.. أرجوك لا تخبري أحدا بهذا !!.. "

" لكن !!.. "

" لا أعلم .. لكني أحس أن صديقي هذا أو هذه !.. أين يكن ، واقع في مشكلة لا قاع لها، و علي مساعدته "

" لكنها قوانين المشفى .. "

" أرجوك ، إذا كنت تريدين مساعدته أقصد ..ها !!.. ساعديني، ولا تخبريها بأني من قام بإيصالها الى هنا أيضا "

" لكن لم ؟؟.. "

" أنها تخفي شيئا ما .. و علي إكتشافه ، لا أريدها أن تعرف أنني عرفت حقيقتها، و إلا ستخاف و لن أقوى على مساعدتها حينها .. "

" عقدت الطبية ذراعها .. " و إن سألتني من أحضرها الى هنا ..!! " أخبريها أنها جاءت لوحدها الى هنا و وقعت عند باب المشفى ما إن وصلت .. "

" صممت الطبية و هي تفكر بينما تطالع عيونه الملونة .. "

" ها يا دكتورة ! هل ستساعدني ؟؟.. "

" رغم أنك عنيد لكن يبدو لي أن الأمر يتعدى صداقتك معها !! أنت تحب هذه الفتاة بشدة و تهتم لأمرها ، لا بل تخاف عليها ..!! "

" أنا لا .. إنه صديقي ..! "

" مشاعرك لم تتغير بعد أن عرفت أنها فتاة و هذا هو الحب !!.. على كل ، سأساعدك من أجلها لأنها في حاجة لمن يحميها فما حصل معها خطير على أية حال .. "

" ماذا تقصدين ..؟؟ "

" ألا تعلم؟.. رغم أنك من أحضرها الى هنا؟؟ أن أحدهم حاول قتلها ، أقصد خنقها !! أثار أصابع موشومة على رقبتها !! .. و هذا خطير لهذا كنت سأبلغ الشرطة "

" ماذا !!!.. هل أنت متأكدة يا دكتورة، أن أحدهم حاول خنقها؟؟!!"

" أمم !!.. أكاد أقسم أنني معجبة بها !! فتاة مثلها تدخل في شجار بهذه القوة و تسبب لها كل هذه الرضوض تكون فعلا شجاعة و قوية، لكنني أشفق عليها حقيقة فكيف لها أن تتحمل كل ذلك الألم و الضرب لوحدها !! وأنت أين كنت وقتما تعرضت لكل هذا !! "

" أنا !!.. أنا .. كنت .. !!.. "

وضعت يديها في جيوبها .. " حسنا .. لقد قررت .. "

"؟؟؟!!"

" على ما يبدو أنها واقعة في مشكلة و لا تستطيع الخروج منها ، كما أعتقد أن الشرطة لن تفعل من أجلها شيئا غير التحقيق ، أنا لن أرسل التقرير لشرطة بشرط واحد !! "

" ما هو يا دكتورة !!.."

" يجب أن تبقى بجانبها، وأن لا تتركها لوحدها أبدا ، إنها في حاجة لأن تحميها ،تحتاج الى سند ومن يقف معها !! "

إبتسم بفخر " لا تقلقي يا دكتورة ، فأنا أعدك أنني سأهتم بها ، شكرا لك!! .. شكرا .. "

" حسنا .. سأغادر الآن .. بإمكانك أنت أيضا أن تغادر .. لن تستيقظ الى صباح غد.. "

" لن أذهب يا دكتورة الى أي مكان حتى أتأكد من تحسنها "

غادرت الطيبة بعدما إبتسمت له بينما كان عقله قلقا بشدة على حال هناع. دخل الى الغرفة وسحب كرسيها ليجلس بجانب سريرها ، عقد ذراعيه و هو يتأمل تفاصيلها الصغيرة متنهدا ..

" فتاة !!!؟؟.. هاني فتاة..؟؟..معقول؟؟..!! تذكر وقتما هب فزعا عندما إنحرف خرطوم المياه و رش ثيابه راكضا الى الحمام ليغير ثيابه ، ويوم كان داخل غرفة المعدات الرياضية بيكي بصمت ، لم يكن لينتبه لوجوده لولا أنينه الخافت إستغرب صمته المؤلم عندما سأله حتى عندما إقترب منه لم يجبه بغير نظرة من عيونه التي تعنصر حزنا وقهرا و هب يختبئ

في صدره ينوح بصوت عالي الى أن غفى يشد على طرف جاكيتته الرمادي ، كلما حاول سحب ذراعه زاد التصاقه به حتى تخدر جسده و تتمل ذراعه بعد أربع ساعات كاملة على نفس الوضعية منتظر أن يستيقظ ، نفص عن عقله الذكريات و تتمم ..

" من أنت حقيقة؟؟ و ماذا يحصل معك؟؟"

" أنت تحبها فعلا !!!.. "

إنتفض وقتما تذكر كلمات الطبيبة ، جلس على جانبها في حافة السرير يتحسس جبهتها، ثم مرر أصابعه على وجنتها و شفثيها بروية مستكشفا نعومة ذقنها، أزعج غفوتها فتمللت ، سند كلتا يديه على جانبيها وقرب وجهه منها يستمع لتنفسها المنتظم، أعجبه هدوءها و براءتها أثناء نومها، إبتسم لإبتسامتها السعيدة بحلمها الجميل ..

" لتدعي تلك الاحلام الجميلة و الوردية تورق عينيك ، و لأفهم أنا الصمت الذي يتحدث من ألمك ، أدرك أن هناك شئ حصل ، لكنني لا أقوى على فهمه و لا على الإعتراف به بعد ..!! شئ منك يجعلني أتألم لسبب ما ..ماذا أنا فاعل بك الآن أيتها المشاغبة؟ .. لم لم تخبريني الحقيقة و أخفيتها عني حتى أصبحت شبه متأكد أنني لست طبيعيا خصوصا و أنني بت لا أشعر بالارتياح إلا و أنا معك .. ماذا أفعل بك؟؟ ها!! كيف أقتص منك على ما فعلته بي ؟ كيف ها!! أيتها القاسية ..!! إذا قبلتك سأعاقبك بهذا أم أنني سألبي رغبة الأنثى داخلك؟؟.. "

إقترب أكثر و أكثر حتى إختلطت أنفاسهما و زادت ثقلا، تحدث فيما كلماته تدخل الى أعماقها مع كل نفس لها ..

" هل أفعل؟؟ ها؟؟.. قولي أفعل؟؟ هل أقبلك لأنتقم على تلك الليالي الذي أمضيتها أفكر فيك ، و ظننتني شادا؟؟ أه .. اللعنة .. لقد عذبتني عذابا ساقني على طبيب نفسي لأجد حلا لحالتي !! حتى القبله الآن لن تخفف مما أحسه .. أنت لثيمة فعلا رغم أنني أظن أنك كنت مجبرة على ذلك .. "

هم مبتعدا لكنها سحبته من ذراعه بغتته و ضمته إليها بقوة كأنها تسحق أضلع وسادة تنام بجانبها ..حاول الإفلات من قبضتها لكنها كانت تضغط عليه في كل مرة حتى أصبح يشعر بالإختناق ، الى أن خلص نفسه أخير و إنساب من بين ذراعيها بهدوء ، وقف ممبلا ظهره واضعا يديه على خصره

" أففف .. أخيرا!! .. و كأنها قبضة دينصور!! .. كيف لها أن تكون بمثل هذه القوة؟؟ تضاهي قوة ألف رجل ... " توقف قليلا عن الحديث نظر جانبا متسائلا .."إذن .. من الذي تسبب لها بكل هذه الجروح؟"

ثنى ركبتيه و إستند على طرف السرير وضعا ذراعيه و رأسه محاولا إكتشافها، فيما تبعثرت بعض الشعيرات على وجهها ، و بخفة أبعدها لتظهر جبهتها فضغط عليها بإبهامه ..

" هل تتمرنين يا فتاة؟؟.. ها .. ها .. أخبريني .. كدت تقتلينني!!.. " صمت قليلا و قد غزت نبرة الحزن صوته ..

" ما الذي يحصل معك يا فتاة؟؟ .. و من فعل بك كل هذا !!.. و لم أنت كتومة و دائمة القلق والخوف؟؟ .. و ما هو اسمك !!.. إنها أسئلة لن تجيبيني عليها ببساطة صح !!.. هاي ،هاني !!.. أيها الغبي سأشتاق إلى كونك صديقا .. "

إستدارت نحوه فيما كان يتدلى جسده من طرف السرير و رأسه موازي لرأسها الذي وقع من الوسادة لتلتصق شفاهها بفمه فجأة .. تجمد دون حراك ، لا يميز شيئا غير أطول فؤاده التي تفرع في أذنيه ،خارت قواه و وقع أرضا فاره الفم متدلي اليدين ، لم ينتبه على دخول الممرضة الى الغرفة لتتحقق من إستقرار حالتها ، فإرتطمت بساقيه الممدودتين على الأرض بعدما مرت بجانبه

" سيدي .. !!.. لقد أفزعتني ..!! هل أنت بخير؟؟ .."

وقف إيراد في عجل .. " أنا أسف .. أسف حقا لم أقصد أن أخيفك .. بخير .. أنا بخير !!"

"يمكنك الجلوس على الكرسي إذا أردت ذلك !.. "

" حسنا سأفعل ، شكرا لك .. كيف حاله !!.. "

" بخير .. لا تقلق .. سيستعيد وعيه قريبا .. "

" هذا جيد .. "

إرتمى على الكرسي من جديد بعدما غادرت الممرضة ينظر الى وجه هناء المتدلي من الوسادة ..

" هل تظنين أنك بهذا ستسكتينيني؟؟ .." إنتبه على أنها لم تكن تسمع شيئا مما يقول " هه !! ما الذي أصابني؟؟ .. أتحدث و كأنها تسمعني أو ستجيبيني ، مصدوم لهذه الدرجة !!.. إنها مجرد قبلة ! .. قبلة صنعتها الصدفة .. لن تذكرها مطلقا عندما تستيقظ فهي لم تعرف بأمرها أساسا.. "

لكم نفسه بخفة ضاحكا بتوتر .. " أنت غبي! .. غبي فعلا .. ههه "

في منزل حسن

مرت الساعة العاشرة ليلا و لم يظهر له أثر بعد، إنحشرت العديد من الأفكار السوداء داخل جمجمتها الصغيرة بعد ذلك الشجار الذي لم يزلها إلا قلقا و توترا ، كانت تدور في حلقات داخل غرفتها الوردية تجلس تارة و تطل من النافذة تارة أخرى، تملكها الخوف من أن يتركها للأبد، ثم شعورها بالغضب منه وتوعدها له . أمسكت القارورة الزجاجية لتفرغ القليل من المياه في الكوب، ثم راودتها ذكرى صفعها وإهانتها له أنه ليس أكثر من خادم لديها، تذكرت دفعها له بعيدا عنها، هل يمكن له فعلا أن يهجرها لم تنتبه على إمتلاء الكوب و لا على إندلاق الماء منه، إهترت يدها من كثرة الخوف و التفكير لتقع القارورة أرضا و تتناثر أشلاءها . كان حسن يهم بصعود الى غرفته لكن صوت إرتطام القارورة على الأرض وصل الى مسمعه ، دخل راكضا في فزع باحثا عنها بينما كانت تجلس وسط الحطام باكية بصوت مرتفع

" ماذا هناك؟؟ " لم تجبه و بقيت تبكي في الخفاء إقترب أكثر منها و ربت على كتفها ..
" أميرة ماذا هناك؟؟.. تحدثي ..!! "

فرع حسن بشكل إستغربه اميرة وقتما لمح إصبعها مغطى بالدماء

" أبي!! لم انت مرتعب؟ إنه مجرد جرح!!"

" ربما كان بالنسبة لك غير مهم لكنه يبدو خطيرا!!"

سحبت يدها منه و وقفت مبتعدة " هه .. أرجوك كف عن الكذب قليلا فأمرني لم يهملك يوما .."

" أميرة!!"

" اعرف أنني مسؤولة كان عليك أن تحملها بعد ان غادرتني أمي .. لكن لا تقلق بأخلصك مني ما إن أدخل الجامعة سأبتعد عن هنا و لن يكون عليك أن تعتنني أو أن تقلق علي .."

نفض يده ووقف متجها نحو الباب" لا تتفوهي بما لا تعرفين عنه شيئا .. فقد يفرض القدر علينا أمورا نكون ملتزمين بتنفيذها دون تفكير .." فتح الباب و نظر الى الجانب " لا تلمسي الزجاج سأبعث بالخادم حتى ينظفها .. عقمي الجرح قبل أن تنامي و إلا إستمر النزيف و إتسخت الشراشف!!"

أحست بألم يغوص هلف كلماته الباردة فسحبت ضمادة و إرتمت على السرير تعقم جرحها البسيط بعدما تشوشت الأمور في رأسها

في المشفى

" دكتورة!! كيف وصلت الى هنا؟؟ "

" حسنا ، الواقع .."

صرخت برعب واضح " أرجوك ! قل لي الحقيقة من الذي أحضرني .. إنه أمر مهم أن أعرف!! أرجوك!!"

دخل إيد من باب الغرفة يحمل في يده كوبا من القهوة وإبتسم بفرح عندما لاحظ أنها إستعادت وعيها

" هل إستفقت أخيرا؟؟ كنت قلقا عليك!!.."

تجاهلت سؤاله المغتبط و أشارت إليه " هل هو من أحضرني الى هنا؟؟"

" و لم تسأل من أحضرك؟ المهم أنك بخير!! .."

" بل هو مهم بالنسبة لي!!" شخطت في وجهه بقوة

" لا تذكرين؟؟.. هزت هناء رأسها لطبيبة لئتمنعها من الحديث

" نسيت أن أعرفك بنفسي يا دكتورة .. أدعى هاني ، و ذلك هناك صديقي إياد .. "

نظرت الطبيبة لأياد نظرة ذات مغزى و تابعت حديثها " لا يبدو عليك أنك تذكر شيئا من ما حصل ليلة أمس "

شل الخوف تفكيرها و أردفت تسأل بصوت مرتجف " لا .. أرجوك أخبريني .. أنا .. لا أذكر شيئا مطلقا!! بت احس أن رأي سينفجر .. " شددت على رأسها بقوة

"إهدأ.. إهدأ الأمر لا يستحق كل ذلك سأخبرك إن كان مهما .. كنت مصابا بشدة ليلة أمس و جئت لوحديك رغم حالتك السيئة جدا ، وقعت عند مدخل المستشفى ، فإضطررنا الى إدخالك دون أن نسجل أي بيانات عنك أما فقدان ذاكرتك فهو أمر طبيعي بعد الصدمة .. "

" و ماذا عنه؟؟ كيف علم؟؟ و من أخبره؟؟ "

" عليك أن تتوقف عن الصراخ ستزعج بقية المرضى فهذا لا يجوز و إلا سأضطر الى حقنك بمهدئ "

" لا عليك يا دكتورة سأجيبه.. إتصلوا بي لأن رقمي ظهر في لائحة إتصالاتك كأخر شخص كلمته ، إضافة الى أنني أرغب في .. لم تحقق معنا؟؟ "

تتهدت " لا أنا فقط كنت أريد أن أعرف لأنني لا أذكر شيئا من ما حصل فعلا .. أنا أكره الهوة بيني وبين نفسي .. متأسفة جدا يا دكتورة ..! "

" إذن أنت لا تذكرين أيضا من الذي سبب لك كل تلك الرضوض و الجروح؟؟ أقصد ربما كانوا لصوصا أو ..؟ "

كذبت بحزن " لا يا دكتورة .. لا يمر على ذهني أي تفصيل عن ما حدث يوم أمس "

لاحظ إياد نبرة صوتها فحاول تغيير الموضوع قليلا " و ماذا عني أنا؟؟ ألا أستحق بعض الشكر؟؟.. "

" شكر؟؟ على ماذا تحديدا؟؟ أنت لم تفعل شيئا تستحق الشكر عليه .. "

" ماذا؟؟ .. لقد أمضيت ليلتي فوق ذلك الكرسي المعوج أراقبك عن كثب خوفا من أن تسوء حالتك !! "

" و إن يكن؟؟ .. "

" أيها الجحود !! إنتظر!! .. " سحب الوسادة التي كانت تحت ذراعه طوال الليل و لطمها بها " خذ هذا يا ناكر الجميل !! "

" آخ .. لا يجب أن تعامل المرضى هكذا، و أنا مريض !! .. دكتورة ! أرجوك قولي شيئا ...!! "

بعيون تدعي التوسل إستنجدت بالطبيبة الواقفة بجانب السرير، وادعى إياد الخجل وقتما تلقى نظرة تأنيب منها ..

" حسنا .. الآن .. إستدر !!.."

إستغربت هناعن طلب الطيبية " .. أستدير؟؟ .. لم !!"

" حتى تأخذ الحقنة !! .. "

إستنفرت فيما بلع إباد نفسه حتى لا تفضحه ضحكاته .. "عن ماذا تتحدثين يا دكتورة؟؟"
شهرت الطيبية إبرة الحقنة في وجهها الذي جفت منه الدماء، و قفزت الى خلف كرسي إباد المعوج . حاول التخفيف عنها بينما يكتم ضحكاته لذعرها من أخذ الإبرة .حامت حول السرير هاربة من الطيبية كلما حاولت الإقتراب منها

" هيا .. لدي الكثير من المرضى ينتظرونني !! ، كما أنه يجب عليك أخذها حتى تتحسن بسرعة .. "

" أنا .. أنا لا أريد .. أجليها الى فيما بعد.. أرجوك !! أرتعب لمجرد رؤيتها فكيف بأخذها .. ماذا عن الحبوب؟؟ .. أعطني حبوبا و أي دواء تريدين إلا الحقن .. أرجوك ! أنا .. أنا أكره الحقن !!.."

نظرت الطيبية نحو إباد حتى يساعدها .. " لو سمحت !!.."

وقف إباد واضع يديه في جيوبه .. " لم أعتقد أنك جبان هكذا .. "

" أنا لست جباناً ..!!"

" و ماذا تسمي خوفك من أخذ الحقنة و هروبك من الطيبية !!.."

" إنه ليس خوفا إنما .. إنما ..أنا فقط (بلعت ريقها بصعوبة مستذكرت حافة الإبرة اللامعة)
أكره الحقن .. أكره أخذها .. "

" لكن عليك أخذها حتى تشفى .. "

" و من أخبرك أنني مريض؟؟ .. أنظر .. (قفز عاليا بغتة و توجع من الألم عند الهبوط)
أنا بخير .. و لست في حاجة الى أخذها "

" ألا تريد مغادرة المشفى !!.. "

" أفضل أن أبقى شهرا نزيلا هنا .. مدى الحياة على أن أسمح لها بإدخال (نظر الى طول الإبرة وحافتها المدببة) هذا الشيء في جسمي!! .. "

" إعترف أنك جبان !!"

" لست كذلك !!"

" لم تتصرف كالفتيات؟؟ .. بدأت أحس أنك فتاة أكثر من رجل .. "

إنفرجت عيونها بقوة بعد جملته ، إستجمعت قواها " دكتورة!! سأخذ الحقنة لو سمحت !! "

همست له فيما أعدت الطيبية الأبرة " أنا لست فتاة .. رجل .. أكون رجلا ، أكثر رجولة منك حتى !! أمفهوم هذا !! لست خائفا ، سأثبت لك هذا !! و عليك أن تسحب كلامك عني إن أخذت الأبرة "

حرق الى عينيها في قلق من سلوكها العدوانى و إصرارها على إخفاء هويتها ثم نقل نظره نحو قبضتها المرتجفة ..

" لم تصرين على إخفاء طبيعتك؟؟ لم تعيشين الكذبة التي لن تكون أبدا واقعا !! لم هو مهم لديك أن يقتنع الجميع بكونك رجلا؟ ما الذي يحدث معك فعلا؟؟ من أنت خائفة؟؟ كيف أخرجك مما أنت فيه إن كنت تصرين على كونك شخصا آخر !!"

"إنتهينا !!.."

" ماذا !!.."

" نعم !!.. عليك أن ترتاح الآن ، أتمنى أن لا أكون أمتك كثيرا !! "

" مطلقا !!.. لم أحس بها أبدا ! شكرا لك ! "

" رأيت أنني لست جبانا !! .. حري بك الآن أن تتراجع عن ما قلته قبل قليل " لكنه لم يسمع شيئا من ما قيل بل كان هائما يعوم في مجرة أخرى من التفكير بقلق . لوحته بيدها أمام وجهه

" .. أين أنت !!.. إياي ، هل تسمعني !! أنا أحدثك؟؟ .. "

رد بشرود " أممم .. !! "

" رأيت أنني أخذت الحقنة .. هل تأكدت الآن !! "

من دون وعي منه .. " لست متأكدا بعد !!.. "

شخبطت في وجهه بقوة " ماذا تقصد !!.. عليك أن تتراجع عن كلامك ذلك و لا خاصمتك و لن أكلّمك مجددا !!.. "

إنفرض على صوتها العالي مستدركا .. " أقصد أنني ظننت أنني رأيت نظرة الذعر في عينيك ، كما أن سلوكك كان يشبه الفتيات هذا كل ما في الأمر .. "

" لكني أثبت العكس !! ألم أفعل؟؟ .. لا تحكم علي بالجبن فقط لأنني لا أشتكى وحسب ! لست ضعيفا كالفتيات بل أنا أقوى منك حتى !! عليك أن تسحب كلامك فوراً "

" ومن قال أنك قوي؟؟ .. "

توقفت الطيبية بعدما فتحت الباب لتغادر الغرفة .. " أعتذر عن المقاطعة .. لكني أخالفك الرأي .. !! "

أشار إياي الى نفسه .. " من؟؟ .. أنا؟؟ .. "

" لا أعتقد أن الجبان من يتحمل كل ذلك الكم من الضرب "

ضربت قبضة يدها بخفة على قفي رقبتة .. " أخبرتك أنني محق .. !! "

" و لا أنت أيضا .. !! "

" كيف ذلك ..!! "

عدلت الطبيبة وقفها لتقابلهما .. " تولد المذلة من الصمت .. أنت مخطئ بقولك أن الضعف مربوط بجنس الإناث .. القوة لا تعني بالضرورة أن تكون ذكرا، ليست مربوطة بجنس الشخص و لا بكم حجمه . أن تملك القوة للمواجهة و العزم للإستمرار حتى النهاية هو ما يجعلك شجاعا في نظري .. "

تسمر ا يطالعان الباب بعدما غادرت مستأذنه و عم الصمت بينهما حتى بعد أن غادر طيفها الغرفة و هام كل منهما في عالمه الخاص يفكر فيما قالتة . إرتمت فوق السرير تجمع كفيها داخل ساقيهما المربعة فيما إتجه إباد لأخذ كوب من الماء يطفئ به نار التفكير التي تحرق داخله ..

" شكرا !!! "

إستدار نحوها .. " على ماذا !! .. "

لم ترفع نظرها فوqe بسبب الخجل " هكذا فقط .. شكرا لك !! "

جلس على الكرسي حاملا الكوب بين يديه " لا عليك فلست مضطرا لشكري ، لم أفعل شيئا يستحق الشكر على أية حال !! "

" لا بل فعلت !! فعلت أكثر مما فعله الآخرون ، لقد بقيت حينما غادر الكل .. ! لهذا و ذلك .. شكرا لك "

زاد رأسها إخفضا حتى إختفى وجهها الحزين تحت خصلات شعرها الكستنائي القصير الناعم " ماذا بك ؟؟!! .. لم أصبحت غريبا هكذا!!.. هل حققتك الطبيبة بمهلوس بدل المهدئ!!.. إسترح قليلا .. هيا .. " ربت على كتفها " إستلق ، هيا !! وإهدأ .. أنا أسف .. أسحب ما قلته قبل قليل ، لا تنزعج مني ، كانت مجرد نكتة سمجة مني وحسب .. إهدأ .. " وضع يده على جبهتها .. " رأسك يلتهب من الحمى !! علي ان أنادي الطبيبة .. "

أمسكت يده تمنعه من المغادرة " لا تغادر، أرجوك .. إبق لا ترحل مثلما رحل الباقون !! " ربت على يدها المرتجفة ليهدأ عيونها الباكية بترجي " هاني !! أنا لن أرحل طويلا .. فقط كنت ..!! إسمع .. لا تبكي أنا لن أتركك لوحداك مطلقا !.. "

هزت رأسها نفيا .. " لم أكن لأصبح عالية لولا الألم المبرح الذي يخالجنني .. لو أنني كنت حرا .. لو .. "

" ها .. "

قاطعت كلامه مسترسلة " أنا ببساطة لا أملك من أفعل معه الأمور البسيطة كأن أبكي على كتفه، كأن أضحك معه أو أن أمضي وقتا ممتعا معه .. لطالما كنت وحيدا داخل قوقعة لا

يسمع فيها أحد سواي، كل شخص تقربت منه رحل و تركني، عشت كذبة صدقت أنها .. الى يوم أمس ..أنها فرد من عائلتي! .. لقد دمرت نفسي .. كسرتني ب ..!! "

زاده ألما انه لم يكن قادرا على أن يعالج جروحها العميقة، كان عاجزا عن منع الأذى الذي يلحق بها .. كيف يفعل ذلك؟.. كيف؟؟ كيف يحميها كيف؟؟..

" أ تبكي؟؟.. "

نفث بهزة خفيفة من رأسها المطأطئ و أكملت بصوت مختنق و مبجوح .. " أعلم أنك تعرف ..!! "

تجمدت أوصاله و لم يقوى على التحرك .. " ما الذي تقصده بأعلم؟؟ أعلم ماذا؟؟.. "

" خائف على مشاعري من أن تجرح؟ "

" هاني أنا لم أفهم قصدك حقيقة ..!! "

" إباد أن قلبي لن يجرح بسهولة و إن كسر لن تسمع له صوتا أساسا .. " سكتت هنيهة " الحقيقة .. أنك تعرف .. "

" عن ماذا تتحدث؟ وضح لي رجاء !! "

" كنت أظن حتى يوم أمس أنها عائلتي ، لهذا كنت أقوم بأكثر من جهدي لحمايتها .. لكنها قتلنتي .. قتلنتي!!.. " رفعت وجهها الذي غسله الحزن نحو إباد .. " أعلم أنك رأيت ما حصل مساء أمس عند مخرج الثانوية .. أنا أقصد .. (تحسست بكف يديها مكان صفة أميرة ، و إستذكر إهانتها و دفعها له) .. صحيح ..!!.. أنا خادم .. أعمل لديها .. كل ما قالته كان صحيحا .. أتعلم !! لا يحزنني صفعها لي .. بل ما يحزنني أمر آخر!!.. "

" لم تجرح نفسك بفتحك لما مضى .. لم أنت حزين بسبب تلك الحرباء إنها لا تستحق .. كف عن الحديث و إسترح .. أنت متعب!! "

" .. قالت أنني لست إلا خادما يتبعها مثل حيوان اليف أينما ذهبت و لست أكثر من ذلك ، أنها أرفع من أن أكون مجرد مسطبة تدوس عليها كل يوم ، لقد ألمني ذلك .. قطع قلبي نصفين ..!! " نزلت دمعة من عيونها البنية الواسعة . مسد على ظهرها بحنان ضاغطا على قبضته بقوة بألم ..

" أشكرك .. لأنك و رغم معرفتك بالأمر لم تهجر صداقتي ،إهتممت بي، و عاملتني كأني.. " قطعت غصة باقي كلامها فيما اتمه إباد

" فرد من عائلتي .. "

نظرت إليه في رضى " أعلم أنه لا حق لي بقول ذلك لكنني .. كنت أظن لسنين أنني نسيت الإبتسام، أصبحت آلة لا تنفذ غير الاوامر، أعلم أن الأسئلة تأكل داخلك و تنهشه لكن يكفيني قول أنه لم يكن لي الحق في الإختيار يوما، كل ذلك لأنني وقعت في كذبة نسجت خيوطها

حولي ببطئ شديد إلى أن خنفتني ، قرار الساذج من طفل صغير فتح أمامي أبواب الجحيم للأبد ..

"ما..!!"

" أعرف أنه خلف الكلام الذي لا نبوح به، ترتمي دعوات لا أمل لها في أن تتحقق لكنني لم أترك حبال الأمل والرجاء يوما، ظللت أكافح في قرارة نفسي كل يوم الظلام الذي كان يحاول إبتلاعي شيئا فشيئا، لا أعرف إن كان لقائي بك مكافأة من القدر أم مجرد صدفة .. تنشقت عطر الحياة مجددا بسبك وحسب ، لقد حررني لقائك ولو كان ذلك لدقائق معدودة .. بسببك شعرت بالإنتماء لهذه الحياة .. لهذا أنا أشكرك .. "

" لم أفعل شيئا .. صدقني ..!!.. "

" هل لي أن أطلب شيئا بعد ؟؟ "

" أ.. أكيد !! "

" قد لا يكون أمرا مهما بالنسبة لك لكن .. حسنا .. أنا .. "

" قل لي ما الذي تحتاجه، سأحاول مساعدتك قدر الإمكان!! "

نظرت الى أصابعها المتوترة في خجل " هل تسمح لي أن أكون جزءا من عائلتك؟ أنا.. صراحة لا أريد أن أموت وحيدا !! "

" من هذا الذي يريد إيدائك ؟؟ لم تقول ذلك ؟؟ أنت لن تموت ؟؟ "

"..أريد أن أنتمي إلى مكان ما ..شيئا يشدني إلى الأرض حتى لا تسرقني ريح الضياع .. أرجوك .. أن تقبل طلبي الغريب هذا فهو مهم بالنسبة لي .. سأتحطم و لن تكون لي القدرة على الأستمرار !! ساعدني أرجوك .. إنها أمييتي الوحيدة .. "

شيئ ما إتقلع حبال الصوت في حنجرته و ما عاد قادرا على الحديث حتى، إحتله الألم و إنسحب الهواء من رئتيه ، كانت تنساب من بين يديه مثل ذرات رمل متمرده ، لوهلة أراد أن يحتضنها أن يخبئها داخل ضلوعه حتى لا يفقدها وسط كل ذلك الحزن الذي يحاوطها، وضع كفه على يديها المجموعتين في حضنها فيما تحفظ عيونه كل تفصيل معلق بها..

" لن أتخلى عنك أبدا ، لن يحصل لك شيء أنا سأحميك، لا يهمني من تكون رجلا كنت أم امرأة، خادما أكننت أم نبيلًا ، أنت تنتمين إلي، ولن أسمح أن يؤذيك أحد ما دمت موجودا .. فقط ثق بي!"

أخفى كل ما كان يجول في خاطره من كلام، عدلها على الفراش و أحكم تغطيتها بعدما غفت على تلك الوضعية ، وضع يديه على جانبي خصره و وقف متنهدا ..

" هه .. أتسائل بماذا حققتك تلك الطيبة .. !! أكاد أقسم أنها مخدرات هه " خلل أصابعه داخل خصلات شعرها متثابا ..

" أشعر بالتعب و النعاس .. أحتاج لكوب من القهوة الساخنة !! .. "

غادر الغرفة نحو الكافتيريا غير منتبه لمن كان يقف بجانب زجاج الغرفة ..

على وسادة بيضاء إرتى رأسها الصغير محشورا بين طياتها، بينما رسمت قطرات عرقها السابحة على وجهها النائم تضاريس لوديان صغيرة و سواقي، ترتعش كلما زادت غوصا داخل أحلامها، الظلام حولها رمى وشاحه و أحكم إقفاله و لم تكن تسمع غير صدى زفيرها المنتظم و دقات قلبها الخائفة كانت عمياء بعيدة عن الجمال أو النور، أحست بأنامل شخص ما تتسرب على كف يدها تمسكها بقوة و لم تستطع الخلاص منها رغم تمللها و تراجعها للوراء، شئ ما كان يرشد أصابعها لتحفن ذهب النور الأصفر ، كان شعورا جميلا هادئا ناعما يدغدغ بشرتها بروية . إبتسمت بسعادة حتى فاض قلبها بالفرح العارم ، تبخرت كل الأوجاع التي غرست في حياتها منذ الصغر، كان شئ من السحر غير فستانها العث الأسود الى آخر بزهور زرقاء و بنفسجية ، لم تكن لتتسائل أو تتوتر رغم أن مغادرة تلك اللحظات الجميلة كانت لتترك مكانا أكثر سوادا مما عهدته يوما ، كانت تنظر حولها بفرح ولم تسمع دقات ناقوس النهاية حتى قبل أن يبدأ كل شئ . إستمرت بالتقدم حتى أصبحت تحت شراع الشمس الذي أعماها فجأة و لم تستطع أن تلمح صورة من ساعدها لكنها عرفته من صوته الذي حفظت نغماته قبل وجهه، بدمع يغسل ألماها إمتنت له على إنقاذها ، لم تقوى على الحديث ، بل كان صمتها أبلغ لها من كل الكلام ..

" هيا .. لنذهب !! .. "

هزت رأسها نفيا و هي تشير الى كاحلها المربوط بسلسال حديدي طويل على طول الكهف المظلم ، حاول كسره مرارا لكنه لم يستطع ، قرر أن يدخل الى عقر الأفعى الأسود ليفكه ، لكنها منعتة وهي تمسك بذراعه بشدة تدفعه بعيدا . إقترب منها مجددا ووقف بموازاتها ، تحسس بأصابعه الخشنة تفاصيل وجهها الحزين و الخائف ، و مسح عنه بعض التراب الذي إلتصق بوجنتها ثم طبع عليه قبلة ليهداها و إختفى وسط السراب الموحش، أكلته جدران الكهف الباردة و لم يعد حتى وقتما كانت تصرخ بإسمه ، ثملت بدموعها حسرة عليه، و قفت عند حافة الجبل تجر سلسالها الحديدي ، حاولت أن تنتحر شنقا على جذع شجرة ، سعدت على الأغصان برشاقة رغم أن دموعها حجبت عنها الرؤية ووقفت تنظر في إتجاه الكهف لأخر مرة و رمت بنفسها و هي تنئن من الألم و أطراف السلسال تشد على عروق رقبتها الرقيقة غشاها تتميل في كامل أطرافها و أغلق السواد عيناها، غابت عن الوعي بعدما ظنت أنها سمعت صوته يناديها لتعود بينما يهز كامل جسدها بعنف ..

إنتفضت بعد أن شعرت باهتزاز قوي على جانب السرير، مسحت عيونها المغمضة من النعاس . إنفرجت مقلتها بعدما لمحت وجهه القاسي مقابلا لها ، عدلت من جلستها و إنكمشت في قلق و توتر بالغ ، بعد أن سمعت آخر كلماته لها ..

عاد سعيدا رغم أنه نسي إحضار كوب من القهوة لإنهماكه بالكفاح وسط طايور من الاطفال للحصول على مثلجات بالذوق الذي تحبه هي ، صعد السلالم بسرعة مدندنا يحمل في يده كنزه دافع الباب بظهره ليدخل الى الغرفة ..

" هاني !!.. أحضرت لك ..!!!!" قطع جملته بعد أن وجد الغرفة خاوية من غير الهواء الذي يندفع من النافذة المفتوحة، دخل الحمام لكنه لم يجد أثرا لها، رمى بقطعة البوظة على الأرض و هب راكضا في اتجاه الإستعلامات ..

" لو سمحت .. أريد أن أعرف الى أين ذهب؟؟.. أقصد هاني !!.."

ردت الممرضة صاحبة المنزر الوردي و القبعة البيضاء بعد أن نقرت على لوح الكمبيوتر الموضوع أمامها.. " ما من أحد بهذا الإسم سيدي .. أعطني رقم الغرفة حتى أتأكد من الشخص المطلوب "

" نزيل الغرفة رقم 203 لو سمحت .. أسرعي .. !!"

" لا أظن أنه أعلم الإستعلامات برحيله، فلا وجود لأي معلومات عنه سيدي .. "

ضرب بقبضته على المكتب الإسمنتي القاسي، و غادر يجر وراءه عاصفة من الغبار و الغضب، توقف بعد أن صفق باب المشفى الزجاجي ، نظر الى السماء باحثا عن فجوة زرقاء من بين غيومها المتكاثفة و الملبدة .. تنهد و أفلح دراجته ، في اتجاه المكان الذي لا بد له أن يبحث به .ركن دراجته بعيدا عن ذلك القصر بأمتار، و إتجه نحو البوابة الحديدية الكبيرة .

" نعم !!.. ماذا تريد !!.. " كلمه الحارس بشكل مقتضب من خلف أعمدة البوابة الطويلة ..

" أريد أن أحدث السيد هاني لو سمحت !!.."

" هل لك موعد معه ؟.."

" أخبره أن إياد هنا و يريد محادثته .. "

" السيد هاني ليس هنا .. أظن أنه غائب منذ يوم أمس .. "

" هل لك أن تتأكد ..! "

" إنتظر لحظة لو سمحت .. "

بعد مكالمة هاتفية دامت لثواني قام البواب بفتح الباب لأياد الذي إستغرب سلوكه " هل هو هنا!!.."

" أسف سيدي.. أنا لا أعرف، لكن الأنسة من طلبت مني أن أسمح لك بالدخول .. "

" أميرة !!.. أه .. لا أريد إذن .. "

إستدار ليخرج لكنها صاحت من بعيد .. " هل تهرب حتى لا تراني؟؟.."

" لم أت الى هنا من أجلك .. الوداع!! "

" لن اسمح لك بالخروج ما لم تتناول معي كوبا من القهوة ! "

" لا أريد !! شكرا !!ربما في وقت لاحق "

" لكني مصرة على الأمر و لن أتراجع عن قراري!! .. "

" إسمعي يا .. أنت !! لست عبدا لديك حتى أنصاع لرغباتك !! إضافة أنه لدي أمور أهم أنجزها .. الوداع .. "

كزت أميرة على أسنانها فيما هم إيداف بفتح البوابة للخروج ..

" هل إتقيت هاني؟؟ .. "

توقف وقتما إتقطت أذناه آخر كلمة بسرعة الضوء " .. لا .. لم؟؟ هل تعرفين مكانه؟؟ .. "

عقدت ذراعيها في تفاخر متعمد و إستدارت لتغادر " ظننت ذلك .. المهم .. الى اللقاء!! "

" توقفي ..!!! " أسرع فإتجاهها بقلق عطش .. " أخبريني أين هو؟؟ أرجوك ..!!!.. "

" أممم.. لنرى .. لا أريد .. وداعا .. "

" هيا.. لا تكوني لئيمة .. "

" أعرف ماذا ..!!!.. أنا لا أفعل شيئا بالمجان أبدا .. لكنك رفضت عرضي .. و..!! "

" أنا أقبل ..!!.. أقبل ..حسنا !! إن أخبرتني ..!!!.. "

" القهوة أولا .. ثم أخبرك ثانيا .. "

طأطئ رأسه بتململ .. " حسنا !.. "

دخلا المنزل و جلس على أول أريكة وجدها أمامه فيما أماءت أميرة للخادمة لتحضر القهوة

..

" تكلمي الآن ..!!.. "

" إنتظر حتى تحضر القهوة .. فأنا لا أستطيع التحدث صباحا إلا بعدما أرتشف القليل منها .. "

" أما أنا رائحتها تكفيني !.. تحدثي و إلا سأرحل !! "

وصلت الخادمة بفنجان القهوة ووضعت أحدهما بجانب إيداف الذي يهز ساقه بتوتر و قلة صبر .. فيما كانت أميرة مغتبطة لأن خطتها نجحت و أنها ترتشف القهوة مع من تتمناه ..

" ألن تتكلمي؟؟ .. بدأت أفقد السيطرة على أعصابي .. "

" هاني ليس هنا !! "

" أنا أعرف ذلك سلفا .. أكلمي .. أين يمكن أن أجده؟ .. "

" أخبرني والدي أنه كان سيزور مدربه مساء أمس و لم يعد طوال الليل ، أظن أنه بات عنده من التعب والإرهاك ..! "

لمع الشرر في عينيه وقتما عرف أن بقاءه معها مضيعة للوقت " أي مدرب هذا الذي يزوره في الليل ..؟؟ "

بلعت ريقها وقتما عرفت أنها داست على وتر حساس جدا " م..مدرب للفنون القتالية ، ألا تعرف أن هاني هو حارسي الشخصي ، أقصد أه خادم لدي؟؟ .. "

شد على قبضته حتى ليكمها و رد بإقتضاب و إنفعال واضح .. " بلى أنا أعرف! .. "

دهشت من ما سمعته .. " تعرف؟؟ .. من أخبرك؟؟ .. و كيف لازلت على صداقة به ؟ و .. "

" توقفي عن طرح الاسئلة ، فلا مزاج لي بالدردشة معك و لا أن أجيب على أسئلتك التافهة !!! فقط أخبرني أين يمكن أن أجده أو أية فكرة قد تدلني على مكانه؟؟ .. "

" لا أعرف إلهذا كل ما أخبرني به والذي .. "

ضرب على ساقيه بقوة .. " اللعنة .. !!! لقد ضيعت وقتي هنا .. و جئت للمكان الخطأ .. "

خرج مسرعا فيما تبعته أميرة تركض، تعثرت و كادت أن تقع لكنه حال دون سقوطها وإرتمت في احضانه بسعادة. لم تصدق نفسها و بقيت تمسك بقميصه دون وعي منها

" شكرا ..!! "

أبعدها عنه بسرعة معدلا وقفها .. " إنتبهي لخطواتك و إلا سيلام هاني على هذا أيضا و يعاقبه والده في الأخير بسببك !!! "

زفرت بحنق " لم تكرهني الى هذا الحد!! "

" أنا لا أكرهك !.. أنا فقط لا أحبك .. "

إرتمى الوجع داخل قلبها و إشتد و قررت " لكني .. أحبك .. أحبك بصدق .. من أول يوم إلتقينا به "

بفتور و حاول أن لا يبدو قاسيا لكنه لم يتمكن من صد الحنق الذي يسيطر على قلبه و كيانه "ممتن لك .. لكني لا أبادلك نفس الشعور .. "

" أعلم!.. هاني هو كل ما يهملك، أصبحت مصباحا سحريا لذلك الخادم ، لا يريف لك جفن إن لم تلبي رغباته الحمقاء ، لو لم يكن شابا و كنت أكيدة من ذلك لقلت أنك واقع في غرام ذلك الأناني! "

إقترب منها بنظرة شرسة أوقفت نبضها قبل أنفاسها " ..و لو لم تكوني فتاة لصفعتك الآن أيضا.. و عن الاناني فلا أظن أنني رأيت أسوء منك الى الحين .. "

" تقصد أنني أنانية؟؟ .. لو كنت كذلك لما أحببت شخصا مثلك ، فأنا أستحق أفضل منك ، لا أقل ! "

" و تسمين هذا حبا؟؟ .. هذه مساومة ، لنقل أنك تريدين إضافتي لمجموعة حلييك و مجوهراتك ..صح؟؟ تريدين إمتلاكي لا حبي .. "

" شخص قاسي مثلك كالصخر كيف له أن يفهم مشاعر فتاة مثلي .. "

" قد لا أعرف ما هو الحب ، لكنني أؤمن أن الحب وحده لا يكفي ، الثقة ، و الأمان و التقبل و الإهتمام كلها تكمل ما تدعيه أنت حبا .. أنت لا تعرفين كيف تحافظين على أحبتك حتى و تبحثين عن جدد!! .. و ببساطة أنت هي السبب الوحيد للذي هو فيه .. أنت !.. وحدك أنت! .. وحدك المسؤولة عن ما يحصل !! .. "

صوت إياد الغاضب و العالي جعل جدران المنزل تهتز و توقظ حسن من نومه ، أما أميرة فقد شل لسانها عن الكلام لما تسمعه منه ..

" .. بسببك أنت و أنا نيتك ألا منتهية كان مرميا وسط الشارع تغرقه الجروح !!.. وحيدا!! .. بسببك تلقى الضرب الى أن كاد يموت، خنق فقط بسببك .. بسببك كان وحيدا في المشفى بانسا يعاني و لا أحد يسأل عنه.. أين كنت حين كان يتالم؟؟ طول الوقت كان بجانبك يحميك، يعاقب من أجل أخطائك التي لا ذنب له فيها، لا و الأكثر .. كسرتة بعدما خدعته بأنك عائلته !! تدمرينه و تدعين أنك تهتمين !! .. لقد تخليت عنه فقط بسبب أنا نيتك و تحكمت الذي نسجت قيوده حوله ، تخليت عنه ببساطة و قتما لم يترك يدك يوما !! .. الحقيقة أنك أسوء شخص رأيتة في حياتي كلها!!"

وصل حسن و وقف يساند إبنته التي تسمع ما لم تكن مستعدة له يوما ..

" نحن لم نجبره على العمل لدينا ، كان ببساطة .. " شددت أميرة على ذراع والدها لتوقفه عن الحديث و تمنعه من التدخل فيما واصل إياد ..

" إنها تعرف لم كان يعمل بكل ذلك التفاني .. لم لا تخبريه .. ها .. !.. أنا أخبره .. لأنها أقنعتة أنها فرد من عائلته و هو جزء من عائلتها ، مجرد خداع في الألفاظ و المشاعر جعلته يتحمل ألما و عذابا لسنين ، من أجل من؟؟ .. من أجلها .. فقط من أجل مدلتك الغبية " أميرة " ..

صمت بعد أن تذكر كلمات أخرى قالتها لها لتدمع عيونها .. " و الآن أنا لا أعرف حتى أين هو !!.. فهل ستخبرني أين هو؟؟ .. إن كنت تهتمين؟؟ .."

هم بالمغادرة لكنها إستوقفته تترجاه .. " إياد .. !!.. أنا .. " و شرعت تبكي.. " أنا أسفة .. لم أكن لأعرف ماذا حصل معه مطلقا .. صدقتي! .. لقد أدخلتك الى هنا لاعترف لك بمشاعري نحوك ، لكنني سمعت توبيخا بدل ذلك .. أنا لم أرد أن أسمع هذا!! أردتك أن تقول لي أحبك..!!"

نظر نحوها و بهدوء أنزل ذراعها من عليه .. " و هل تظنني قادرا على الوثوق فيك؟؟ .. لسنين كان يعيش معك هنا.. في نفس البيت ، و لسبب ما صفعته و أهنته و قطعت صلاتك به و الآن ترددين مني أن أحبك؟؟.. كيف لي أن أثق في شخص مثلك لا يملأه غير الأنانية و المصالح ..؟؟ .. أنا لا أستطيع مبادلتك نفس المشاعر و إن حاولت .. لقد كسرت أخر أمل لنا مع بعض .. الوداع .. "

" إياد .. أنا .. أسفة .. أرجوك .. لا تقل هذا إنه يؤذيني ، يجرحني بشدة .. "

ببرود و صوت هادئ " يجرحك !! تخيلي فقط ماذا فعل به ذلك؟؟"

"أنا أسفة بحق لم يكن لي قصد أن أذيه ! سأبحث عنه و أعيده الى هنا .. أنا أعدك!!"

" لست أنا من عليك الإعتذار له .. إبحثي عنه .. و إن وجدته ربما سأفكر في الأمر .. الوداع .. "

وقعت أرضا باكية يرجوها والدها الهدوء لكنها لم تستطع الى أن وقعت مغشيا عليها .. فيما لم يهتم إياد بذلك و صفق الباب خلفه مبتعدا ..

" اللعنة .. حتى هنا ليس موجودا !!! .. الى أين ذهب؟؟ هاني .. أين أنت؟؟ .. هل أنت بخير؟؟ .. "

خرج شاردا بين قلقه و سخطه، جلس فوق مقعد دراجته حائرا الى أين يذهب بعد ليبحث عنه ، من اين سيبدأ؟؟ .. سمع وقع تصفيق خلف ظهره

"أحسننت!!"

إستدار ليلمح شيبات عجوز مغتبط بيتسم خلف نظراته الشمسية، أدار مفتاح دراجته للمغادرة غير مهتم به

" لن تجده و إن حفرت قاع الأرض!! "

توقف فجأة .. " من تقصد؟؟ "

" كنت أظنك تبحث عن ذلك الفتى الهزيل!! .. أقصد هاني!! "

ترك دراجته التي فقدت توازنها و وقعت على الرصيف و هب ناحيته ..

" هل تعرف أين يكون؟؟ .. أرجوك أخبرني!! .. "

" أكيد أنني أعرف ، فانا من أخفاه!! .. "

" انت من أخ...!!.. من أنت؟؟ و ما علاقتك به.. ؟ ماذا تريد منه تحديدا!! "

"الأن أنا لا أريد منه شيئا .. أريد منك أنت ...!!.. "و أشار ياسين بسبابته نحو إياد

" مني أنا ..!! "

" لقد تعبت ساقاي من الوقوف .. هيا لنغادر أولا .. "

فتح باب سيارته السوداء اللامعة . ركب أياد بجانب الباب مستعد للهروب و علامات اللهفة و القلق ترتسم على محياه منتظرا بحرقه كلام العجوز ..

" إسمي هو ياسين .. و هذا يدعى علي .. "

نظر نحوهما مستغربا .. " و ما علاقتكما بهاني؟؟ .. أقصد .. "

غشت القسوة على صوت ياسين و مرت قشعريرة بشكل غريب على جسد إياد ككل " أعرف .. عليك أن تنسى كل ما تعرفه عن هاني فهو غير موجود أساسا فأنا من صنعه و أنا من

سيمحيه إن لم تنفذ ما سأطلبه منك !.. "

" و لم تظن أنني سأفعل أي شيء من أجلك؟؟ .. "

" لأنك تهتم لأمر هاني و سلامته .. "

" لكني أهتم بسلامتي أكثر!! ما الذي يمنعك من التخلص مني بعد أن أنفذ ما تطلبه مني؟؟ .. "

" أنا لا أريد منك غير أن تحضر لي معلومات عن المدعوة أميرة "

" تريدني أن أكون جاسوسا من أجلك ..؟؟ أسف .. لا أريد!! سأبحث عنه لوحدي ، أوقف السيارة رجاء!! "

" إن ظننت أن هاني كان يقوم بعمله مجبرا فأنت مخطئ في إعتقادك .. "

" ماذا تقصد ..؟؟ .. "

" أقصد أنه من إختار عمله منذ الصغر .. إنه يقوم به بكل حب و رغبة ، و ما أطلبه منك الآن أن تحل محله لفترة من الزمن حتى يعود .. "

" هل ستعيده؟؟ .. "

" إن قمت بما أطلبه منك سيعود قريبا .. و هذه كلمة مني .. "

" حسنا .. سأقوم بذلك فقط من أجله و حسب .. أخبرك من الآن ! لن أكون كبش محرقة مثلما فعلتما معه!! .. "

" جيد!! .. هذه الروح الذي أبحث عنها .. "

" لم تريد معرفة معلومات عن تلك الغبية؟؟ .. "

" تكرها!! .. ظننتها تحبك؟؟ .. "

" إنها لا تحب أحدا غير نفسها .. تظن أنها تستطيع إمتلاك كل شئ تقع عليه عيونها .. "

" جيد ! يسرني أن لا تسيطر عليك مشاعرك "

" لكني أريد أن أعرف .. لم؟؟ حتى أحافظ على سلامتي أيضا ، فأنا لست مغفلا حتى أثق في كلامك الجاف هذا دون دلائل "

" بيني و بين أبيها إنتقام من نوع ما " نقل ياسين كلامه الى السائق " توقف!! .. إنزل هنا .. "

" حسنا .. سأغادر .. لكن لا تنسى .. ورقة بورقة المعلومات مقابل هاني .. سالما!! .. "

أماء ياسين برأسه إيجابا . أغلق إيد باب السيارة بعدما ترجل منها و عاد أدراجه نحو دراجته المرمية عند منزل أميرة ..

" أ معقول ما قاله؟؟ كله برغبة منها؟؟ كيف لها أن تقوم بالجوسسة على بيت أميرة؟؟ ظننتها تحبها كأخت لها؟؟ كيف لها أن تتحمل معاملة الجلاذ و كل تلك القسوة؟؟ اللعنة ..!! لقد تلخبط كل شئ في رأسي! ما الذي هي واقعة فيه بالتحديد؟؟ ما الذي هي متورطة فيه؟؟ علي أن أجدها قبل أن أسلم له المعلومات وإلا فلن يرحمنا نحن الإثنين حتى أنا لن أسلم من شره ،

بدى واضحا ما كان ناويا عليه.. لكن ..!!؟؟" توقف ينظر الى جدران منزل أميرة العالية " ما الذي يحصل بين هذين الإثنين تحديدا !! ولم يحتاجانها؟؟ أي إنتقام بينهما !!" مرت على عقله ذكرى لأخر كلمات لها

".. لم يكن لي الحق في الإختيار يوما، كل ذلك لأنني وقعت في كذبة نسجت خيوطها حولي ببطئ شديد إلى أن خنقتني ، قرار الساذج من طفل صغير فتح أمامي أبواب الجحيم للأبد .."

تنهد وأقلع دراجته و غادر بسرعة الضوء لا يظهر أمامه غير صورتها الباكية ..

في السيارة ..

" لم أخبرته سيدي عن .. "

" غير مهم !! إنه تحت قبضتي و لن يؤذينا بشيء ، كل ما يهمه هو هاني ، ما يجعله يبقي فمه مغلقا .. المهم عندي أن يصل الى معلومات عنها، فذلك المغفل لم يحضر شيئا ذا منفعة ، و ما عدت أستطيع الإنتظار الأكثر!! .."

" أنت محق سيدي .. و ماذا عن هاني؟؟ أين هو ؟ ماذا نفعل به؟؟.."

" لا تقلق .. سيعتنون به جيدا حتى ينسى من يكون حقيقة ، و لا يتجرأ على التمرد علينا مجددا، أريده مثل آلة للقتل لا ودودا مثل الخراف !! أصبحت الفتاة تتحكم به أكثر من .. المهم علي أن أعدمها داخله ، حتى لا تعود للظهور مجددا .. !!... خطير جدا أن يكتشف أحد ذلك .. خصوصا ذلك الفتى .. "

" .. لو لم أكن هناك فاللحظة المناسبة كانت أخبرته بكل شيء و لضاع تعبنا كله .. "

" احسنت بإخباري أعلم أنني سحبتها من المشفى دون علم أحد سيولد الكثر من الأسئلة و الشكوك لكن علي أن أفكر في الخطوة الثانية بحذر أكبر و إلا .. "

" لا تقلق سيدي .. كل شيء جاهز حسبما طلبت .. كل المعلومات عن الفتى إياد ، و تحركات حسن وأميرة أيضا "

" مازال ينقصنا شيء حتى نحرك أحر فيلق في اللعبة ..!"

" ما هو سيدي؟؟"

" ينقصنا أن نعرف متى ولدت الفتاة و أين و كيف أحضرها الى هنا !!"

" لكن سيدي هذا غير مهم أما عدت تريد أن التنفيذ بأقصى وقت ممكن .. "

همس ياسين " بلى !! لكن لدي شكوك تخصها ماذا إذا كانت هي ..!!"

بلع علي ريقه بصعوبة " سيدي الوقت يمر .. وربما أحس حسن بضرورة إبعادها و .."

" أنت محق .. نفذ .."

تنهد علي براحة ثم إستدرك " لكن هناك مشكلة ..!! "
" ماهي؟؟.. "

" أنك أرسلت الفتى الى منزلها للقيام بعمل هاني فيما سنقوم نحن بإختطاف الفتاة ، كيف سنقوم بذلك؟؟ أقصد أنه يسقف حائلا بيننا !! الخطتان تتعكسان "

" هل صدقت فعلا أني أريد بديلا؟؟ " " ..!!؟؟ "

" ما أريده هو كبش فداء حتى نبذو بعيدين عن ما يحصل مع الفتاة أ فهمت ؟ أما حسن فسنقابل قريبا و سأكون آخر وجه يراه .. "

" لقد فهمت سيدي ..!!.. "

" هيا الآن .. فقد تعبت حقا من الجلوس "

داخل غرفة عثة الأثاث، قديمة المفرش، يعزف البرد معزوفته المعهودة بينما يفتح الظلام ذراعيه على تلك البلدة الصغيرة، جلست على جانب السرير الذي نخر الزمن أضلعه، فتحت علبة الإسعافات الأولية بتعب و إرهاق شديدين، أخذت تضمد جرح يدها العميق، لكن الشاش إنسل من بين أصابعها فارا مرة أخرى ، زفرت بسخط على وضعها و ما ألت إليه حياتها ، ركلتها بقدمها ليرتطم على طرف الغرفة، و شردت فالفراغ فيما ينعكس وجهها المتورم على المرأة المكسورة على ذلك السور المهترئ، كانت ألوان الكدمات المتعددة تتماوج على تعاريج جسمها المتعب و المنهك ، كانت تتنفس بصعوبة بعد أن كسر أنفها أثناء آخر النزال لها، لقد أفلح ياسين في ما كان يريده لقد قتلها و ما عادت تعرف من تكون حقا ، أصبحت مثل صنوبر مكسور في غرفة تقبع أعلي الجبال لا يدمي إلا وقتما ينام الجميع ، أصبحت بكما و لا فائدة من أن يسمع البقية أهاتها و لا أن ترى جروحها المتعددة، حتى صرخاتها تأكلها الصمت الدائم، نظرت من جديد الى قطعة الشاش الأخيرة التي تملكها و سحبت ساقها تجر جسدها الهزيل على الأرضية المغبرة ، جابهت لتحملها من الأرضية وإرتمت من جديد على طرف الكرسي المكسور الجوانب، حزنت وقتما تذكرت إهتمامه بها ، سعادتها معه و لو لثواني زالت بزوال الفرح من حياتها

" هاي أنت !!.. " دخل رجل فارح الطول مفتول العضلات تبدو عليه علامات السكر الى الغرفة فجأة بعد أن دفع الباب الهرم بقوة .. " الزعيم يريدك !!!.. "

" لكني كن هناك لتو !!.. "

" لديك نزال آخر الليلة أيضا .. هيا .. إنه ينتظرك .. !"

حنت رأسها بإستسلام فيما ضغطت على جرح يدها البالغ حتى لا تبكي مجددا ، حنت الى وجوده ثانية، عليها أن تستمر لوحدها من الآن ، عليها أن تنتشله منها حتى تبقى على قيد الحياة. بعشوائية لفت الضماد حول يدها وخرجت في إتجاه مكتب الدكتاتور الذي لا ينفك

يضحي بها في كل ليلة، منذ أول يوم لها هنا عرفت أنهم يحاولون قتلها، بالنسبة لياسين أصبحت كارتا محروقا يسبب له خطر و عليه أن يتخلص منه بأقصى سرعة، أما بالنسبة للمستبد الذي يحكم قبضته عليها فهي إوزة ذهبية يراهن على فوزها الكثيرون، لكم أحببت الأمل الجشع في عيونهم التي تطالعها و تشجعها بإستمرار فهم لديهم ثقة بقدرتها عكسها تماما لهذا ما كانت تحب أن تخيب نظرة الأمل تلك رغم معاناتها .. تعلم أن إنتهى دورها و على ياسين أن يمحيها من الوجود، ليتها كانت تملك فرصة لتخلص نفسها ان تفك عقدة الحقد تلك من بين أيديهم لترحل بعيدا .. إنها لن تستسلم له، ستكون أقوى، ستقاوم الى آخر نفس تملكه، ليست شخصا ضعيفا مثلما يعتقد .. خرجت و أرجعت باب الغرفة خلفها لكنه لم يغلق رغم زغرذته العالية عند تحريكه، زفرت بعد أن تهكمت ..

" كل شئ في هذا المكان خراب حتى رأس ذلك السمين الجشع " تقدمت ببطئ شديد بعد أن أنهكتها الجروح و الألام الموشومة على كامل أضلعها. إنها آخر محطة لها، لكنها وحدها تقرر كيف ستكون النهاية !!

في منزل أميرة ..

في كل لحظة تذكرت حديثه كانت تنفجر باكية و لم يستطع أحد أن يخفف عنها أو أن يجعل مزاجها المكتئب يتحسن .. لأيام عديدة لم تتناول أي شئ غير الماء و إنخفض معدل السكر لديها لعدة مرات . كان قلق حسن يزداد خصوصا و قتما أنقذها من محاولتها القفز من السطح ، كان يلح نظرة الحزن و الألم و الوحدة تزداد في عينيها يوما بعد يوم . لوهلة لكم تمنى أن يكون هاني حاضرا ليتحسن حالها قليلا . جلس على جانب السرير يائسا بعد أن وقع نظره الى صينية الطعام و كوب العصير التي لم تلمس منه شئ ..

" الى متى ستبقين هكذا؟؟ .. هذا ليس حلا !!.. "

" أنا بخير أبي !! أحتاج لأن أهدأ و أفكر مليا ارجوك أن تدعني لوحدتي قليلا .. "

" كيف أدعك وشأنك ؟ أنا أراك ت..تتحررين ببطئ .. لا تجعليني أرسلك الى خارج الوطن بعيدا عن هنا !! "

" و ماذا عن هاني !!؟؟ .. من سيهتم لأمره من دوني !!؟؟ .. هل نسيت أنني السبب لإختفائه؟؟ لا اعرف ما أصابه أو ما إذا كان حيا حتى !!.. "

" لقد كلمت والده !!.. "

" والده؟؟ هل لهاني أب؟؟.. "

" إنه الشخص الذي تبناه .. المهم أنه أخبرني أنه بخير و سيعود قريبا ، لا تقلقي .. !! "

إنتفضت مغتربة .. " هل ما تقوله حقيقي يا أبي؟؟ .. هل فعلا قال ذلك؟؟ .. هذا جيد .. " وقفت تعانق والدها بقوة سعيدة على الخبر الملق من قبله، فهو حتى لم يستطع الوصول الى والده المزعوم أو محادثته هاتفيا ..

أمام الباب الخارجي وقف إياد و في يده باقة من الورود الليلك البيضاء في محاولة أخرى أن يصل إليها تأفف ثم ضغط الزر على البوابة ..

زفر الحارس ما إن رآه " نعم ماذا تريد؟؟ .."

" أريد أن أكلم الأنسة أميرة لو سمحت ..!!"

" إنها لا تريد أن تراك! كما لدينا أوامر بمنعك من دخول هذا المنزل مجددا .. "

تنهد بصبر .. " أخبرها أن إياد يريد أن يحدثها في أمر مهم .. أو بإمكانك أن تخبر والدها أنني جئت لأعتذر إذا أردت أيضا"

" و لم علي أن أتعرض لطرد بسببك؟؟ .."

" لن اتحرك من هنا ما لم تعطهم خبرا أ مفهوم؟؟"

" ألا تمل يا هذا !! ألا تسأم من تكرار هذا كل يوم؟؟"

" إسمع يا هذا ..!! أخبرها أنني جئت لإعتذر .. أسرع فلا وقت لدي لأضيعة معك!! .. "

دخل الحارس الى مكتبه و أجرى إتصالا ثم عاد يجز على أسنانه .. مشيرا بكف يده نحوه ..

" الأنسة لا تريد رؤيتك .. غادر ..!!!"

لعن في قرارة نفسه عن تكبرها و هم برمي الورود لكنه تذكرها وقتما كانت تهذي في أحضانها ، تذكر وعده لها أنه لن يترك يدها مهما حصل . نظر في إتجاه الجدار و عاينه بسرعة مقررًا إمتهان عمل القرد و يتسلقه ، نط من فوقه و سقط فوق شجيرات صغيرة جرحت أغصانها الرقيقة خده ، نفض هندامه و عدله و تسلل الى الداخل عبر نوافذ المكتب الكبيرة .. كان يهم بالخروج منه الى البهو لكنه سمع صوت أقدام تتقدم نحوه فتجمد خلف الكنبه الجلدية اللامعة و المصفوفة بجانب أخواتها مشكلة مربعا وهميا ..

كان حسن يتجه في سرعة كبيرة نحو مكتبه المعزول عن بقية غرف المنزل و أقفل الغرفة بإحكام بينما كان إياد يسب حظه السيئ و يلغنه في الخفاء .أخذ هاتفه المحمول و نقر عليه بضعة مرات و إنتظر الرد ..

" كيف حالك؟؟ .."

""

" إنها بخير الآن.. لا تقلق .."

""

" لا .. لا أعتقد أن لذلك العجوز علاقة بالأمر .. "

""

" إنه مجرد إنهيار عصبي كان سببه فتى تحبه هكذا قال المختص .. "

"....."

"صراحة أنا لا أعرف أيضا .. و لا أعرف من السبب وراء إختفائه حتى انني لا أقوى الى الوصول لخييط يوصلني إليه حتى الشخص الذي تبناه لا أقوى على وصول إليه و لا اعرف ماذا يحصل !! "

"...."

" انت محق في قلق .. هناك أمر ما لا أعرف سببه .. إنه يشعل بصيالات رأسي ككل!"

"....."

" لقد حاولت أن لا أجعلها تتقرب منه .."

"....."

" لم أنت غاضب هكذا !!... أخبرتك أنه لا علم لي!! .. "

"....."

" أرجوك .. لا تفعل هذا .. إنها لن تقبل بالرحيل عن هنا .. !!"

"....."

" لجين !!... لجين...!!!!... لجين...!!!!... أخبرتك ألف مرة أن لا تذكر هذا الإسم مجددا ، و لن أسمح لك بأخذها مني .. إنها إبنتي الوحيدة !! و يمكنني أن أفعل أي شئ من أجلها و أنت تعرف ذلك حق المعرفة .. !!"

"...."

" غير مهم .. سأوظف شخصا آخر أكثر كفاءة منه .. "

"....."

" سأكون حذرا لا تقلق .. حسنا سأكلمك في القريب العاجل ، إن وصلت الى شئ ما .. "

كسر الهاتف بعدما أنهى مكالمته بغضب و خرج من المكتب زافرا بحنق مخلفا زوبعة قوية

..

" ترى مع من كان يتحدث؟؟ ولم هو خائف هكذا !! لا بل مرتعب ، و من تكون لجين تلك؟؟.. ها يقصد بالعجوز نفس الشخص الذي حدثني ذلك اليوم؟؟.. آه الأمور تزداد تعقيدا .. علي أن أصل الى غرفة تلك السحلية قبل أن يكتشفوا أمري!!"

صوت صراخها المتألم مازال يقرع على طبليتي أذنه وقتما إرتمت فوق السرير باكية بعيون تتقطر قهرا و حزنا . ما زاده كسرا أنه نزل من عيونها درجات وقتما رفع يده عليها يومها، كانت تشد على المكان الذي صفعها به، بعدما تناثرت خصلات شعرها الكستنائي الناعم على وجهها، لم لم تعاتبه؟؟ ربما لم تلمه لكنها كانت تحمله ذنبا عظيما بتلك العيون و المقل الدامية . كان يعرف في قرارة نفسه أنه خذلها وكسر قلبها، لكنها لم تكن تعرف أنه كان مجبرا، كل

يوم كان يرى نفس السؤال يرتسم على وجهها الصغير ذا الانف المدبب و العيون الكبيرة الزرقاء، لكن صوتها لم يصل يوما الى شفيتها ، و فضلت الصمت للأبد، حقه و غله على حالته المعذبة لم يكن يهدأ إلا عندما يعلم على بشرتها الرقيقة، و بعدها يغادر في غضب ككل مرة، ليدخل في عراك أو مشاحنة تنتهي بجرحه على يديه التي ضربها بها بعنف و دون رحمة ، يدخل البيت فالغرفة مثل اللصوص بخلسة يجدها مكورة على نفسها تضم لجين الى صدرها و علامات البكاء بادية على محياها، يجلس على الكرسي مقابلا لهما، و يعتذر في الخفاء و بصمت لا يعرف لحد الساعة لم كانا يفهمان صمته دون الكلام ، و لا يقويان على مصارحة بعضهما ، لم كانت تتحمل عنفه لها بحب و صبر، بعد ساعات من التأمل و تأنيب الضمير يرمي الغطاء عليهما و يغادر مغلقا باب الغرفة خلفه . لم قررت أن ترحل فجأة بعد أن تحملته لكل ذلك الوقت؟؟ دون أن تحدثه أو أن تلومه !! ضربها بعنف يومها و رمى برأسها على المرآة حتى كادت تموت، ضربها دون توقف و لا يذكر حتى السبب .. أ كان منتشيا كالعادة أم مجرد سادية ! أم لأن والده ضغط عليه كالعادة . بعد أن تأكد من تورم غالبية أعضاء جسدها و أنها لن تقوى على الحراك مجددا .. لا يعلم لم قال ذلك حتى !! و مازال يتذكر لمعة عيونها وقت إنطفاء نظرتها نحوه وقتما وقعت كلماته على مسمعا

.. " أكرهك ! و تزوجتك حتى أصل الى مصالحي بسرعة أكبر ..!!"

كان وجهها غير ما كان يلحظه في كل مرة، عرف أنها إحترقت من الداخل، مازال يذكر أنبيها وهي تشد على صدرها بقوة و بكاء إبنته لجين معها ، أدرك وقتها أنه أذاها و قتلها بما قاله . من بعيد كان ينظر إليها و هي تحتضر، كان يهم بالإقتراب لحضنها و طلب السماح منها لكنه عزف عن ذلك في آخر لحظة و غادر راكبا السيارة الى حيث لا يعرف حتى ، فيما كانت أذاها تطن بنفس هذه الجملة مرارا و تكرر حتى حفظت نبرة صوته و كل ما كان يتبعها من تفاصيل في ذلك اليوم، كان أسفا على كل شيء، حتى على حبها له، على ضربه لها، و معاملته لها بسوء لم تكن شيئا أمام صدمتها وقتما وقعت على مسمعا تنك الكلمات ، كان يريد لها أن تجن و أن يرميها في مشفى للمجانين حتى يتسنى له الإستمتاع بثروتها ، أخذت الهاتف و كلمت والدها مدعية السعادة محاولة الهروب من كابوس ترتمي بين أجنحته ، كانت تتألم لكنها فضلت أن تداري الأمر و تختفي وحسب ، حاولت الهروب الى منزل والدها خفية بعدما إستغلت غيابه لكنه كشف أمرها قبل أن تصل الى هناك ..

كانت شديدة الرعب و الخوف بعدما إكتشفت ملاحقته لها ضمت إبنتها الى صدرها و طلبت من السائق أن يسرع و أن لا يتوقف لكن السيارة خرجت عن السيطرة و إرتطمت على صخور الطريق البحري ،ضربت رأسها بقوة أثر الإصطدام و سألت منه بضعة قطرات من الدماء لكنها سعدت عندما إكتشفت أن إبنتها لم يصبها أي مكروه فيما حزنتم على السائق الذي لقي مصرعه هناك شددت على أضع إبنتها بينما كان يضرب على باب السيارة بعنف كالمجنون فيما عشب الخوف من انه فقدهما كامل عقله . لم يسعد لأنها كانت بخير بل سحبها من شعرها و شدها إليه بقوة الى أسفل الجرف أمام شاطئ البحر .. أين صار يصرخ و عيونونه تدمع بحرقة لأنه لم يرد أن يفقد أحدا من عائلته و لا حتى نفسه هو ..

" أ تذكرين؟؟ .. أول أمسية رومسية لنا في العراء على شاطئ البحر؟؟ .."

لم تجبه فيما ألتصقت إبنتها بساقيها الرشيقتين، فتح ذراعيه متحدثا كان يحاول أن يفهمها الحقيقة. لم تنظر إليه حتى لكنه كان ينظر إليها بحب ، لقد كان يحب لها يفوق ما تتحمله هي لكنه لم يستطع أن يطلق له العنان خوفا من أن يفقدها، صمت قليلا ثم قرر أنه سيخبر والده أنه لا يقوى على التضحية بهما ، إنها حبيبته !و الأخرى إبنته . إقترب منهما لكنها عادت الى الخلف رعبا و إشمئزازا

" ربما ليس هنا .. لكنه يشبه ذلك المكان حقا .. كم أحن إليه .. آه ...!!! لكنك أفسدت كل شيء .. كل شيء !!! "

لم تعلق أو تدافع على نفسها بل بقيت تنظر إليه بتوجس فيما ضرب الحصى بقدمه لنتطير و تقع في أحضان الموجات الباكية ..

دق خفيف على باب غرفته تبعه دخول الخادم بكوب من عصير الليمون المنعش ..

" عصيرك سيدي !!! "

رد بإقتضاب " ضعه هناك و غادر !!! "

وضع الخادم الصينية و هم خارجا ..

" هل أنسة بخير؟؟ .. "

" أظن أنها نائمة سيدي ، كما أنها في تحسن مستمر على الأغلب .. "

" هذا جيد.. غادر الآن لو سمحت .. "

سحب الخادم الباب فيما أخذ حسن كوب الليمون، الذي شوهدت قطرت دموعه الدافئة سطحه الهادئ و سكونه " أسف !!! .. أعلم أنني السبب فيما حصل لك !!! أنا السبب ..! أنت لا تستحقين ذلك .. و أنا اعرف .. أسف !! أسف سامحيني !!! "

في مكان ما وسط قرية نائية ..

قارورات و كؤوس ترتمي على طاولات قديمة و أوراق اللعب بين يدي بعض من النساء المتعجبة في فجور ، رجال مقامرون بكل ما يملكون من دماء أمل الفوز .. صراخ و صفير، تصفيق حار، رائحة دخان السجائر و المخدرات تخنق الجمع الملتف حول حلبة المصارعة الحرة حماس يعانق قلوب الحضور بينما يشدون أسلاك الحلبة الحديدية الهشة .. كانت تقف وسطها منهكة القوى من آخر نزال خاضته تتلقف الهواء بصعوبة، تتألم من كل ناحية في جسمها و تكاد الرؤية غير واضحة من إلتهاب الكدمات على وجهها، ذلك الشيطان لم يسمح لها بالراحة حتى، و إذا كانت تريد أن تعيش عليها أن تقاتل حتى آخر رمق حدثت نفسها بهمس لا يسمعه غيرها ..

" إنه آخر نزال لي ربما ستكون هذه الثواني الأخيرة لي في هذه الحياة لكنني لن أستسلم لأنني أريد أن ألقاك، و إن مت فأريدك أن تعرف أنني أحبك، و أعتذر لأنه لم يتسنى لي أن أشكرك على كل شيء .. قطع الصراخ حديثها و تسلسل أفكارها

" حسام .. حسام .. !!!"

دخل الشاب الأسمر مفتول العضلات حلبة المصارعة تحت التهليل الحار كونه ربح كل نزال دون خدش يذكر، بينما لم تكن لتشعر بشيء غير الإنهاك و التعب الواضح عليها كانت تشعر أن الأرض تهتز من تحتها كأنها على فوهة بركان خامد لا حلبة مصارعة . أغلقت قبضتها في حزم و إستعداد فإن ظهر خاؤها ستكون خسارتها للنزال قبل أن يبدأ، نظر إليها بعيون صغيرة عازمة على الفوز فيما عزمت أنها يجب أن تعيش حتى تخبره بحبها، فهذا ما يبقها حية . دق جرس بدأ نزال النهائي لهذا اليوم ، حاولت أن تسدد له لكمة لكنها تراجعت للوراء بعدما سحق الدوار جمجمتها، عادا الى الوسط و بدأ من جديد، لكنها بدأت تتداعى من جديد ، أمسك المصارع بقفازيها ليحول دون سقوطها أرضا ..

" هاي أنت؟؟ هل أنت بخير؟؟.."

بزقت بضعة من الدماء المكومة داخل فكها من الصراع السابق ..

" أنا بخير !.. لنتابع .. "

" هل أنت متأكد ! نستطيع تأجيل هذا لما بعد!! أقصد حتى ترتاح قليلا !! "

نظرت الى ذلك الشيطان الذي وقف يبصرها من زجاج مكتبه العث ثم قالت في عزم بعد أن تنهدت بصعوبة و بدأت تتصبب عرقا ..

" أنا متأكد .. هيا لنتابع .. "

" حسنا!! كما تريد إذن لننتهي هذا الأمر! لا تظن أنني سأتساهل معك .. "

لم تعد تقوى على التنفس " هات كل ما لديك .. "

ركلة قوية على صدرها جعلتها ترتمي في أحضان أسلاك الحلبة متألمة .. شعرت بالغضب فجأة و جعلت الأمر يبدو شخصيا ..

" اللعنة .. لقد تعمد ذلك .. !! سأريه .. "

حاولت ضربه لكنها لم تصبه لصعوبة الرؤية لديها .. باغتتها بضربة خفيفة بقفازه خلف رقبتها ..

" تبدو كمهرج .. سنتوقف ! " و هم برفع بيده لينهي النزال لكنها همت بلكمه في غضب ..

" لا لم ننتهي بعد !!.. لن ينتهي هذا إلا وقتما أنا أنهيه !!.. "

" أنا صراحة لا أقوى على منازلة أحد مصاب هكذا، ألم تبصر نفسك في المرأة تبدو كمعطوب الحرب هذا ليس عدلا !!"

" لا أحتاج شفقة منك ! قلت أنني بخير ! لا تهتم ! طالما كان لدي نبض أنا لن أموت لا تقلق علي وإقلق على نفسك وحسب.. "

" هكذا إذن .. !! "

عرقل حركتها بعدما كانت تهم بركله لتقع في أحضانه داخل الحلبه، أحس بشيئ غريب لامسه ! إبتعدت عنه بسرعة و باغتته بلكمة قوية على أنفه الذي نرف بشدة ، بقي واقفا ينظر في الفراغ مدهوشا غير مهتم بكم الركلات و لا اللكمات التي تصيبه منها

" هل .. هل .. غير معقول ..!!!.. "

" هاي أنت؟؟.. لم لا تقاتل .. سأخسر نقودي هكذا " إرتفع صوت أحد الجماهير ليوقظه من صدمته حتى يتفادى آخر ركلة منها ، و أدار ذراعها للخلف ومنزلا رأسها الى الأرض ..

" من .. أنت؟؟.. و من تكونين؟؟.. و لم أنت هنا؟؟.. "

" ماذا تقول؟؟.. أنا لم أسمعك جيدا بسبب الضجيج !! و لكن غير مهم و إذا كنت تحب الحديث سأزورك في المشفى بعد أن ننهي هذا ..!! "

خلصت نفسها من بين ذراعيه لكنه ضربها على رأسها بقوة جعلها تفقد الوعي لتراجع للوراء لكنه أمسك بخصرها فجأة لتقع على صدره من جديد مغشيا عليها، فيما تعالت أصوات الهتاف، كان مشغولا بالنظر لوجهها الصغير المتورم بشدة غير مهتم بكم الأوراق النقدية التي ترمى عليه بسعادة و فرح و متسائلا فيما كانت ملتصقة بصدرة بثقل

" أنا متأكد أنها امرأة !! و الذي يلتصق بي هو ثديها .. لكن كيف؟؟ و لم هي هنا؟؟ لم تحديدا هذه الحلبه؟؟ تصارع الرجال!! لا و بإسم رجل؟؟ هذا غير معقول !! أقسم أنه لا أحد يعرف حقيقتها لهذا...!! اللعنة .. ماذا أفعل الآن .. لا أستطيع تركها هنا الآن !! "

هم أحد العاملين بحملها عنه لكنه دفعه بقوة .. " أنا سسنده .. أبتعد .. "

لكن زعيم الحلبه إقترب منه ليمنعه .. " لا يمكنك أخذه !! مازال عليه أن.. "

" و من سيمنعني؟؟.. أنت؟؟.. "

" حسام .. إسمع !!... إنه جديد و .. "

" إسمع .. نحن مصارعون ، و لسنا عبيد عندك .. لا تغضبني .. و إلا أنت تعرف الباقي ..!! "

" حسنا.. حسنا .. يمكنك أن تأخذه معك .. إبتعدا عن الباب ! دعاه يمر! .. "

أمسكها من خصرها و رفع ذراعها ليسندها كرجل لكن وزنها كان أخف من شاب صغير ، إبتسم في الخفاء و إدعى ثقلها حتى لا يثير الشكوك و يتمكن من إخراجها بسلام من عقر الأفعى .. وصل الى بنايته ، نظر يمنة فيسرة و بعد أن تأكد أن لا أحد في الشارع حملها بين ذراعيه و نظر إليها فيما تدلت ذراعاها فالهواء إبتسم و صعد السلالم نحو شقته في الطابق الثاني بينما تعتلي ذراعيه في نوم هادئ كالأطفال ..

في منزل حسن ..

دخل إيداد الغرفة خلصة بينما كانت أميرة تكتب شيئا ما على مذكرتها .. فرعت ..

" ماذا تفعل هنا؟؟ .."

" أتيت لأعتذر منك .. " و لوح بالباقة في ملل، فيما نظرت أميرة الى زهور الليلك البيضاء المكسورة عاقدت ذراعيها ..

" لكني لا أريد أن أسمع منك شيئا .. غادر .. !! " ثم أخذت تتدعي الكتابة بينما عقلها مشغولا به ..

" هاي .. إسمعي !!.. أنا أسف لما قلته لك سابقا .. أنا .. فعلا لم أقصد أن أسبب لك أية أذية .. كنت قلقا على إختفاء هاني دون سابق إنذار .. "

إبتعدت عن السرير و إقتربت منه تقابله وجها لوجه و أخذت الباقة منه ..

" أنت أسف حقا!! .. " إبتسمت و أخذت منه باقة الزهور المكسورة و ضحكت " أقسم أنك غبي!! "

" لم؟؟ .."

" لا أحد يعتذر مثلك!!.. أنت .."

" لم أفهم ..؟؟"

لوح بالباقة التي تتدلى منها بتلات الورود ..

" أوه .. هذا !!.. " حك رأسه و تابع .. " لقد دخلت خلصة كاللصوص بسببك و .. حتى أنني خدشت هنا " .. و أشار الى وجنته ..

إنفجرت ضاحكة و هي ترتمي على السرير ..

" أنا سأغادر الآن .. "

" إنتظر .. !!.."

" ماذا؟؟ .."

" هاني بخير .. "

" و من أخبرك؟؟ .."

" أبي .. قال أنه كلم والده الذي يتبناه .. و هو بخير و سيعود قريبا .. "

تأكد أن والدها كذب عليها ليشعرها بالتحسن فإبتسم في رضى .. " و من سينوب عنه الى ذلك الحين؟؟ .."

" لا أعلم .. أنا لا أريد أحدا غيره .. أنه ...!! "

" عائلتك؟؟ .. أعلم .. !! ما رأيك أن أنوب عنه .. أنا.. أقصد ريثما يأتي .. "

قفزت مغتبطة و سعيدة .. " هل أنت متأكد؟؟ .. أقصد أن تكون معي طوال اليوم .. "

هز رأسه مدعيا الإبتسام ..

" جيد .. إنتظر هنا سأنزل لأخبر والدي سيوافق على الفور و سأتمكن من العودة الى الثانوية والخروج من هذا السجن .. " وضعت يدها على صدرها متنهدة .. " أخيرا .. أشعر بالسعادة .. " قبلته على خده .. " شكرا لك .. " و غادرت تنزل السلالم بسرعة كالمجنونة .. تأكد له أنها مجرد صفة مدللة ضعيفة جدا لا تقوى على تحمل الكثير من الألم و الجزن ثم همس بخفوت ما إن تذكر نبذة حسن أثناء الحديث على الهاتف كانت تختلف كثيرا عن ما عهده .. " أقسم أنه يخفى شيئا ما .. هناك ! ما لا أستطيع فهمه! علي أن أكتشفه .. و بسرعة !!.. " خرج من باب الغرفة نحو البهو لينتظرها ..

في منزل ياسين ..

" ما الأخبار؟؟ .. "

" سيدي .. لم يخرج الهدف بعد من المنزل .. "

" حسنا .. لازموا نفس المكان .. و لا تنسوا نفذوا بسرعة .. أريده أن يحس ان هناك من يلاحقه .. أريد نظرة الرعب في عينيه .. "

" حاضر سيدي .. لا تقلق .. "

أغلق الخط و أخذ كوب الشاي الذي بجانبه ، إرتشفه متوعدا لحسن بالاسوء ..

دق خفيف على الباب تبعه دخول علي الى الغرفة .. " سيدي .. لقد بدأنا تنفيذ الخطة ، و لكن ماذا عن هاني؟؟ .. "

" ماذا عنه؟؟ .. "

" هل سنتركه هناك؟؟ .. أم هناك مخطط يخصه بعد .. "

" لا أدري .. شدد على ذلك المغفل الجشع من أن يدخله في كل نزاع .. لا أريد شبهات حول ما أصابه ، أو ما سيصيبه ، أريد أن يبدو موته عاديا .. "

" لكن سيدي ...!! "

" ماذا أيضا؟؟ .. لقد صدعت رأسي .. ماذا هناك يا علي ..؟؟ "

بعد صمت و تردد .. " ظننت أننا ستحتفظ بهاني كموظف كفى و .. "

إنتفض ياسين فجأة .. " هل أنت مجنون؟؟ .. هل تريد أن نكشف؟؟ .. "

" المعذرة سيدي ، لكني.."

" علي !!!.. " صرخ بقوة في وجهه ..

"نعم سيدي .."

إستدار ياسين نحو النافذة " غادر لو سمحت .. فلا نقاش حول موضوع هاني !!.. "

" حاضر سيدي .. المعذرة .. " خرج علي خائبا من غرفة بعد محاولته الفاشلة مرة أخرى

..

إستيقظت بثناقل، تمسح عن عينيها بعضا من أثار النعاس الذي شد على كامل جسدها، حتى أنها كانت تفتح جفنيها قليلا ثم تعيد غلقهما بعد أن يتغلب عليها شبح النوم من جديد .. قابلت عيونها سقف الغرفة الخشبي، لكنها إنتبهت أنه غير السقف الذي كانت ترتمي تحته في الأيام الماضية إنتفضت في مكانها بعدما نظرت نحو الغطاء و السرير الذي تنام بين أوصاله ، تحسست قميصها الذي لم تكن ترتدي غيره ، لقد غير الى آخر نضيف ..

" من فعل هذا !!.. و أين أنا ..؟!.. و .." لم تكمل سؤالها بعد أن سمعت وقع خطوات رجولية تدلف الى الغرفة .. إنكمشت داخل الغطاء و أخفت رأسها منتظرة اللحظة المناسبة ..

" من يكون هذا المنحرف الذي أحضرني الى هنا ؟؟.. لا بد أن ذلك الجشع قد باعني إليه بعد أن خسرت و إكتشف أنني بنت .. اللعنة .. كيف سأخلص نفسي .. "

إختلست النظر من تحت الغطاء حتى لا يلحظ إستيقاظها .. كان لا يرتدي غير منشفة تلف حول خصره الرجولي، لتبرز عضلات صدره الممشوقة أعلى قدميه ..

" اللعنة ..!!!!.. هء أنت الاسوء!! .. كيف خسرت و أحضرت الى هنا؟!.. لا و بل أمضيت الليلة .. آه هل حصل شئى فعلا !!.. ماذا سأفعل الآن ؟ "

كان حسام يقف بجانب المرأة يبصر إنكاس الغطاء الذي كان يتحرك فوق جسدها الصغير مع همهمات كانت تبدو أنها لها . إبتسم وقتما سمعها تكلم نفسها و تشتمها تحت الغطاء ، حتى أنه لاحظ خروج أنفها من فتحة صغيرة قامت بفتحها لتتجسس عليه ..

" ألا يكفيك نوما !!.. هيا لقد تأخر الوقت ..!!!"

همست من تحت الغطاء و قد تجمدت حركتها .. " كيف إنتبه أني قد إستيقظت ؟!.. "

" هيا.. لقد تأخر الوقت .. "

أبعدت الغطاء عن رأسها في صمت و خجل تحاول جمع جانبي القميص لتغطي نفسها لكنها فوجئت بصدرة العاري يقابلها ، لم تكلف نفسها عناء النظر الى وجهه فقد شعرت بالدماء تتجمع على سطح وجنتها و أذنيها ، أنزلت رأسها مغمضة عيونها ..

" إلبس شئى ما.. يا هذا !!.. لم أنت عاري .. ؟؟ ألا تشعر بالبرد ؟؟!.."

" إنها تعليماتي أنا .. و لقد كنت واضحا بشأنها .. حتى لو توسطت له ليحل محل هاني ، فسيكون موظفا كالبقية و عليه أن يطيع الأوامر .. "

" أبي !!.. "

" أميرة .. لا تناقشيني فأنا لن أترجع عن ما قلته و ستخسرين! "

طأطأت رأسها بحزن .. " حسنا .. "

" أنستي لقد تأخرنا! علينا المغادرة .. سيدي ساكون على تواصل دائم معك و أخبرك بأي مستجدات "

" هذا جيد .. "

خرجت و هي تزم شفيتها في غيض واضح ، فتح لها باب السيارة ..

" كيف لوالدي أن يعاملك هكذا.. "

" هذا أمر عادي أنستي أرجوك أن لا تهتمي .. "

" أنه محق أنستي .. أقصد .. " تدخل السائق في الحوار ..

" إخرس أنت .. و لا تتحدث لم أطلب رأيك !.. "

بلع السائق ريقه بينما فضل إياد كتم غضبه منها .. دخلا المدرسة كل منهما يعتمر في قلبه الكثير من الحديث لكن لم يجراً أيهما عن الإفصاح عنه ..

إستسلم أخيرا و رفع راية السلام أمام قنابل الإرق التي كانت تترمي فوق رأسه طوال الليل، غادر سريره الذي لازال لا يعلم لم بقي متشبثا به لساعات من يوم أمس رغم عدم قدرته على النوم ، كان يعرف أنه لا جدوى له من التأكد ففجر يومه التعيس بدأ لتو ، لم يكن يريد أن يغادر حتى جدران غرفته ، لم يكن يعرف أن عملها كان مرهقا هكذا ، كم هو متعب أن يضل ملتصقا بتلك المدللة رغم عنه طوال أيام الأسبوع لم يقوى حتى على التنفس أو دخول الحمام معها ، أصابه الصمم و الصداع بسبب تحمله الترهات و ثرثرتها لساعات و الأسوء إنها لا تدعه يرتاح حتى ليلا حتى هاتفه يصارع يوميا حتى لا ينطفئ من كثرة إتصالاتها . لا جديد يذكر، لكنه مصر على إكتشاف حقيقة ذلك المدعو حسن. ها قد بدأت تستشعر إستيقاظه ، زفر بعدما تسائل إن كانت تعلق كاميرات مراقبة على سقف بيته ، لعن في قرارة نفسه ، كيف له أن يقع أسير فتاة لا تعرف حتى كيف تعتني بنفسها رغم أنه ابن أقوى رجل في البلد ، نظر الى الضوء المنبعث من شاشة هاتفه و عرف أنها لن تهدأ أو تياس الى أن ينطفئ الهاتف أو يحترق " كله بسبب يا هاني!!"

لكم كان يتمنى أن يصرخ في وجهها و أن يقول بعضا من الكلام الذي يكتبه في أعماقه عنها فلم يعد يتحمل كل هذا الضغط النفسي .. تأفف و فتح الخط " نعم !!.. "

" صباح الخير .. "

" صباح الخير .. ماذا تريدين؟؟.. لم يبدأ دوامي بعد.. "

" إتصلت حتى أذكرك أنني ذاهبة في رحلة الى الغابة اليوم .. "

" رائع يعني أنني معفى من مهامى اليوم .. "

" لا بل عليك مرافقتي و ربما نخيم هناك أيضا .. "

" لا أريد .. أنا أكره التخيم .. "

" أنا لا أسألك .. أنا أخبرك !.. "

أقفل الخط في وجهها قبل أن تكمل حديثها خوفا من أن يفجر كل ذلك الغضب المكبوح منذ أيام

"أين أنت أيتها الغبية .. أين؟؟"

نظر الى ساعته ووجد أن الوقت يتسرب من بين أصابعه فاستعد بسرعة البرق و نزل قافزا الى بهو المنزل " صباح الخير يا أبي .. "

" صباح النور .. "

" أين أمي؟؟ .. "

" أظن أنها في المطبخ .. لنجلس و نفطر معا .. هيا تعال .. "

جلس على مuzzi ينظر الى الساعة التي تتك مقابلة له، يعد عكسيا منتظرا حديث والده الذي يبدو أنه يحمل شيئا ما في جعبته ..

" إياد !!.. "

" أمم.. "

" ما علاقتك بإبنة حسن؟؟ .. "

إبتلع قطعة التوست الموجودة أمامه دفعة واحدة حتى إختنق و صار يطلب نجدة كوب الماء الذي ناوله إياه والده بإهتمام بالغ " إبتعد عنها .. فتلك العائلة لا تجلب إلا النحس و المصائب .. "

"أكاد أقسم يا والدي أنك على حق فتلك الكارثة لا تنفك تزعجني و سبب أرق نومي .. " بلع الكلام مع قطرات المياه و سأل " هل تعرفهم يا أبي .. !!.. "

" إن عرفتهم أم لا فهذا لا يهم .. المهم عندي هو سلامتك ، و سلامتك تكون بالإبتعاد عنها نهائيا هل هذا واضح !!.. "

لم يغضب من كلام أبيه مطلقا فهو محق فيما يقول لكنه أحس فيه نبرة ذات جدية و حزم لم يعهدها فيه أبدا " أبي .. أنا .. "

" لست أعمى يا إياد!! فقط كوني قررت أن اتجاهل ما تفعله !.. كن حذرا فيما تحاول فعله ، لكنني بصراحة أطلب منك الإبتعاد عن تلك الفتاة .. ألا يكفي أن والدتها ماتت بسببها !! "

وقف مبتعدا عنه تارك إياه فاره الفم عن ما يقصده ، تأكد انه يعرف شيئا ما ، دقائق الساعة المشيرة الى الساعة بالضبط ، حمل جاكيتته البني و هرع راكضا نحو الباب " اللعنة .. تاخرت فعلا ..!! "

"لا أعلم ما الذي أصابني؟؟ ما الذي يحدث معي ؟ ما الذي رمته علي تلك الفتاة و جعلتني مهتما بها هكذا!! .. رغم أنها لا تمد للأنوثة بصلة حتى اللطافة لم يكن لها حظ معها .. هه "

تذكر يوم أوقعت المنشفة من عليه كاشفة عن باقي جسمه ، إبتسم وقتما تذكر إنفراج عينيها وتجمدها كالتمثال خشبي ، لكم ضحك يومها حتى إنتفخ قلبه و كاد يتوقف و زاد سلوكها غرابة وقتما كانت تتجاهله طوال اليوم ، أصبح مثل المهرج وسط الحلبة يبتسم فيما يتلقى الضربات الواحدة بعد الأخرى ، كان سعيدا فيما تعلم للكلمات على جسده ووجهه و البسمة تكاد تصل الى أذنيه ، رغم أنه فاز لكنه كاد يصاب بالصمم يومها، تذكر يومها شعوره بالدفي بعدما كان عائدا من جهنم و وجد النور مضاء داخل شقة الصغيرة لأول مرة ، دخل خلسة ووجدها تجلس على الأرض الباردة فيما يرتمي رأسها على حافة المائدة التي تكس عليها الطعام اللذيذ ، كان شعورا يعتمره لأول مرة فلم تكن له عائلة و لم يهتم لوجوده احد ، لم يقترب منه احد ان لم تكن هناك مصلحة ما ، لا يعلم لم حاول ان يدعي السعال وقتها لكنه ندم بعدها حينما انفجرت كالبركان في وجهه ، كان يحرق فيها باحثا عن الهدوء الذي كان يرسم البراءة اثناء نومها

" اين كنت؟.. لم تأخرت؟؟ الساعة شارفت على الثالثة صباحا و الأكل برد؟؟.. لم لم تكلمني أو تخبرني بشيء؟؟.. ما هذا الإستهتار؟؟.. "

لم يقوى على الإجابة كأن لسانه عقد او أصابه البكم " إسمع .. نظرات أسفك لا تسعدني و لا ترضيني!! كما أنه لا يعوض بقائي لساعات و أنا أنتظر في قلق " إبتسم حينما عقدت ذراعيها أمامها و إستدارت نحو الجدار تتحاشى النظر نحوه في غضب

" و الأنسة المجهولة ماذا تريد ..؟؟.. "

" كرشوة!!.. أريد بوظة بدوق الفراولة و الفانيلا أيضا .. ضحك حتى تطايرت الدموع من عينيه حين ظن أنها تريد مالا أو شيئا غاليا لكنها فاجأته بطلبها الشديد الصغر

" بوظة؟؟.. "

" نعم بوظة .. لا بل إثنين!!.. "

وافقها على الفور .. " حسنا أعدك أنني غدا سأشتري لك إثنين لك وحدك و أربعة لي وحدي ..هه "

نظرت نحوه بغیض كأنها تريد ركله بقوة تجعله يطير خارج المنزل لا بل خارج الكرة الارضية ككل عدل ما قال.. " حسنا .. حسنا .. لا تعضبي .. إثنين لك وحدك و أنا من المتفرجين .. "

تهللت أساريها و لأول مرة أشرفت إبتسامتها البريئة، نظرت الى الأرض و همست .. " هناء .. "

" ماذا قلت؟؟ لم أسمعك جيدا .. "

" إسمي هو هناء و ليس المجهولة !! .. "

إبتسم " أسف يا هناء أعدك اني لن أعيد ما فعلته اليوم و سأشتري لك البوظة غدا كإعتذار لك، موافقة؟؟ .. "

ضحكت بسعادة و سحبته من ذراعه ليجلسا ليتناولوا العشاء على الثالثة إلا الربع صباحا بضحك وسعادة، لم يكن الأكل ما يهمه بل ما كان يشعر به و ما إفتقده لسنين، دفئ العائلة، لقد أحب وجودها ببساطة و إستأنسه، تمنى أن لا تغادر شفته أبدا .. لم يعتره الفضول رغم أنه لم يعرف عنها غير إسمها وحسب بل فضل إن يترك وهم العائلة الصغيرة حيا على الأقل حتى حين، عليه أن يبعتها عن عالمه قليلا، أن يحول دون إلتصاقها به و محاولتها مساعدته في كل صغيرة، ربما تظن أن كل شئ إنتهى لكن ذلك الشيطان لم ينسها بعد و يريد عودتها الى الحلبة بشدة رغم أنه لم يفهم بعد لم هو مصر على تصفيتها هناك! لو كان يعرف أنها فتاة لباعها لأحدى بيوت الهوى لتتخلص من حياتها بعدها، لا يفهم لم هو مهتم بها هي خصيصا ، لم هي بالذات !! .

إستفاقت باكرا على غير العادة ، تتمدد مبتسمة بغبطة ، تفقدت التقييم لأول مرة منذ إحتلت هذه الشقة البسيطة ، دهشت كونها لم تلاحظ مرور شهرين على وجودها في ذلك المكان الذي تحب كل ركن فيه ، لأول مرة في حياتها لم تحمل نفسها عناء التفكير بمصيرها المجهول فحسب رأيها أن كل شئ إنتهى لم رغم انها لن تتخلص من الكوابيس التي تراودها عنهم يوميا ، ربما نسيها الكل ولكن قلبها لم ينسى حبها له ، تشاءبت في كسل فيما خبشت بشرة رأسها بملل

" كم ان الهدوء امر رائع !!، لقد غادر حسام باكرا .. ترى الى اين؟ .. هه أصبحت اتصرف كالفتيات فعلا هه كله بسبب حسام فهو من يحثني على ان اسمح لهناء بالخروج ، اعلم انه امر صعب لكنني سعيدة على الأقل بكوني أحاول .. آه حسام الغبي و الاحمق !!"

وضعت بدها على فمها و توقفت تنظر حولها اذا ما كان سمعها فحتما سوف يوبخها على ألفاظها السوقية، ابتسمت في سعادة كونه يهتم لأمرها و يصر على ان يعلمها حسن السلوك ، فهو الوحيد الذي فتح الفرصة لتلك الانثى ان تتنفس عقب الحرية، شردت فيما كانت تحاول تحديد نوع العلاقة التي تجمعها معا ..

" حسام .. انه العائلة التي تحويني و تتقبلني كيفما كنت !!"

سعادتها كانت اكثر وقتما اكتشفت طول شعرها الذي كاد ان يصل الى كتفها ، لقد تحقق حلمها و غطى كامل رقبتها اخذت مشط حسام المبلول المرمي فوق المغسلة و زفرت حينما وجدته مكسوا بالشعيرات عن اخره توعدت له بعقاب و هي تتخلص منها واحدة فالأخرى، سرحت شعرها و هي تدندن بأغنية لا تعلم حتى اين سمعتها و ازاحت الغرة على الجانب الأيمن من جبهتها ، بحلقت في انعكاس صورتها على المرأة و راقها جمالها الانثوي البسيط

، تسألت كيف سيكون شكلها و هي ترتدي فستانا انيقا، نظرت حولها و لم تجد غير قميص حسام ذا الوريدات البنفسجية الصغيرة، حملته تمنع النظر فيه
" لكم اكره حين أرى حسام يرتديه .. يبدو سيئا عليه، وهو يظنه جميلا .. هه .. و لكن ما من خيار!! لنجرب !! "

كان يفوقها وساعة و طوله يكاد يصل الى ركبتيها ، نظرت حولها و لم تجد غير حزام ابيض قطني بالي ربطت به خصرها، دارت حول نفسها لتتأكد من مظهرها الذي لم يكن سيئا ، حاولت رفع قدميها متخيلة انها تلبس كعبا عاليا و بدأت المشي برشاقة لكنها كانت سيئة لدرجة ان خطواتها كانت معوجة كالمعاق ، تعثرت بالسجادة الصغيرة و وقعت على وجهها تضحك رغم الألم

" غبية .. لن ينفع معي هذا مهما حاولت ، أحببت لبسي لهذه الخرقه البالية فبقيت ادور راقصة على نغماتي التي ادندنها عشوائيا ، هذا و سقطت حتى ! لو كنت ارقص مع ايداك لكانت فضيحة .. هه .. حسام محق علي ان احسن من نفسي و اتعلم تصرف المرأة العصرية ففي الأخير انا امرأة أيضا !!"

كانت تكلم نفسها و لم تنتبه الا وقتما قطع تفكيرها الرنين المستمر على الباب حتى كاد ان يحترق ، فيما كاد الدق ان يقتلعه من الجدار ، اسرعت ناحية الباب ساخطة على حسام لكنها تجمدت ما إن رأت اخر وجه تتمنى رؤيته ، تحجرت الكلمات في فمها و اصبح حلقها جافا بينما كاد ان يخرج قلبها و عيناها من مكانهما من الفزع ..
" ألن تدعيني للدخول .. !! "

دفعها بيده بعنف و دخل عنوة الى الشقة دون انتظار رد منها ..

" يبدو لي انك تعودت على فراقنا !! .. " لم تجب على كلامه بل كان العرق المتصبب منها كفيلا بأن يرد عليه ..

" لم لم تتبع الاوامر؟؟ .. الا تخاف !.. ام انك ... " بتر كلماته ما إن وقعت عيناها على ما ترتديه ، اقترب منها و عيونه تفدح نارا مشتعلة ..

" ما هذا الذي تلبسه؟؟ .. يبدو لي انك تعودت على كونك فتاة ..!!.. تحتاج لتطعيم مجددا؟؟ .. " اقترب منها و حاول خلع القميص عنها عنوة لكنها دفعته بقوة جانبا لتحاول الهرب

" هاني هل جننت؟؟ .. هل حصل لعقلك شئ .. اخذه هيا .. !! "

" لا لن افعل .. انه يعجبني كما اني لست هاني .. انا هناء .. اكون بنتا و لست رجلا .. "

حاول ضربها فدافعت عن نفسها بأن ترد له الضربات، لسنين طويلة التزمت الصمت حتى بقي بأمان لكنها لم تصبح يوما ، داهمها كم الصور الذي تعذبت فيها، وقتما كانت كبش محرقة ، عبدة بيعت بالمجان ، تذكرت وقتما كانت تفتدي بنفسها من لك يهتم بحياتها ، ادركت انها لم تحرق غير نفسها ، تذكرت انيها الذي تأكله الصمت في تلك الغرفة الباردة ، دموعها و دمائها التي اختلطت فوق سطح سريرها ، لن تعود للموت في أحضان الجحيم مهما كفها

الامر ، ستدافع عن نفسها حتى اخر رمق. كانت تنتظر هجومه عليها بعد ان دفعته عنها مرتين لكنه كان واقف مدهوشا كالأبله الذي صدم من كثرة الجمهور، و لم تعرف متى انفجر كالقنبلة ليسحبها نحوه كالثور الهائج ، كادت تقسم لنفسها انها كانت ترى جنون الغضب يخرج من انفه و اذنيه ، كان يريد منها ان تنصاع لكنها قررت ان تحارب ان تقاومه الى اخر نفس ، حررت نفسها منه بصعوبة ووقفت على الجانب تلهث من التعب و الخوف

" انا لن انصاع لك .. و لن اتبعكم ككل مرة كحيوان اليف يرجو لقمة ليعيش .. اريد أن أكون حرة او لن أكون .. هذا ما قررته و سأنفذه حتى و ان مت و لن اعش بعد هذا اليوم .. لم اعد اتحمل ظلمكما وتضحيتكما بي .. لن أكون أضحية تساق للمذبحة .. لن افعل !!"

كان رفعه للكرسي و رميه نحوها بيد واحدة جوابا عن ما كانت تقوله، لم يصبها لكنه أصاب زجاج النافذة فيما كانت تحاول تجنبه، لكن حواف الشظايا لامست وجنتها اليمنى و تركتها تنزف بغزارة ، كانت تمسك قميصها بقوة حتى تمنعه من خلعه عنها ، فيما سحبها من ساقها وجرها على كامل الأرض لتدخل شظية كبيرة داخل معصمها و سكنت به بعد ان قطعت شريان يدها اليسرى ، كانت تحاول تخليص نفسها من بين يديه و الهروب بعد ان تأكدت انها لن تستطيع هزمه بيد واحدة فيما الأخرى تنزف بغزارة ، شل حركتها بجلوسه فوق جسمها الهش و شرع يخنقها بضغطه على عروق رقبتها بقوة و هو يصرخ بجنون هستيري

" لن اسمح لك ان تفسدي مخططي .. لسنين و انا اخطط له .. ليس الان ! بعد ان تأكدت ان ذلك العجوز ياسين وافق اخيرا و بدأ يثق بي.. تبحثين خلفي !!تنقبين عن الماضي الذي لم يصله احد ؟؟ .. موتي هيا .. لن اسمح لك بتخريب ما وصلت اليه .. موتي !!.. "

بعد ثواني احسست انها فقدت السيطرة على كامل جسدها و سرت قشعريرة باردة داخل عروقها ، خارت قواها و لم تستطع المقاومة اكثر ، كانت تحس بسقوط ذراعيها بجانبها ، كأنهما فتحا ليرحبا برسول الموت ، فيما كانت تتمتم بهمس لم يقوى على فهمه ..

" نعم انا اناديك ايها الموت .. تعال و خذني .. انا استسلم .. ايها الموت هل لي بضمة منك و لو كانت باردة ، فلم يحبني احد مثلما احببتني انت .. ايها الموت .. خذ بيدي فانا لا ارى غير السراب و ضباب ابيض يغلف جفني .. انا اثقال .. سامحني ارجوك .. فليس لي الان الا ان اتبعك .. "

كان يتبعها على مضض لا يعرف الى اين تحديدا يقودها ذلك التهور لكن عليه ان يحميها ، عليه ان يكون ضلا لها في كل مكان ، امسكها فجأة من ذراعها صارخا ..

" الى اين ؟؟"

" انا اريد اكتشاف الناحية الأخرى للمخيم !!"

" هل انت جادة ؟؟ هل تحاولين ان توقعي نفسك في المشاكل مجددا ام تريدين انهاء حياتك لأكون مجبرا على التوضيح لوالدك ؟؟"

" لم تقول كل هذا !! انها بضعة خطوات وحسب و سنعود ما إن .. "

" كنت سأحسبها بضعة خطوات ان قلنا انها على البر و ليس فوق جذع مهترئ فوق نهر جاري !!"

" انا سأعبر و انت حر سواءا اتبعنتني ام لا .. فأنا س.."

امسكها من ذراعها بالقوة .. " لن يكون هناك ذهاب مالم اصرح لك !! انا بذلك !!"

حاولت ان تحرر ذراعها منه .. "ماذا تفعل؟؟ دعني !! من انت حتى تتحكم بتصرفاتي و ما اريد انت مجرد خادم لدي هل نسيت؟؟"

"اعلم انني خادم يحميكي لهذا انا امنعك من ما تريد فعله !!"

" انا اريد الذهاب .. و ما اريده ينفذ أمفهوم؟؟"

" و انا قلت لا .. لم تسببين المشاكل هكذا ، اقسم ان عمل هاني لم يكن صعبا بقدر التهور والمشاكل التي تسببونها له !! اهدئي و دعينا نعد الى .."

" لن اذهب !! لن اذهب معك الى أي مكان .. و الان اترك ذراعي و فورا "

" سأتركه لكنك لن تعبري فوق هذا الجذع و هذا نهائي !!"

" .. حسنا .. اتركني فأنت تؤلمني !!.. افف .. سأذهب من هذا الاتجاه !!"

" اللعنة !!.. الم تعجبك الا طريق الادغال؟؟.. ما هذا الذي وضعت نفسي فيه .. انا لست مربية .. لست مربية!"

تبعها في سخط راكلا الحصى المرمي على الأرض بملل عارم لم ينتبه للظلال التي تتبعهما في الخفاء، انطلق كالصاروخ لصراخها ..

" ماذا هناك لم تصرخين؟؟"

" انظر.. لقد وقعت و جرحت نفسي .. ركبتي تنزف !! انه مؤلم فعلا "

ركع على ركبته هامسا " و ليتك تعرفين مقدار الأذى الذي تحس به الآن، ما كنت ستتألمين لجرح سخيف"

" هل تقول شيئا ما؟؟ لم اسمعك ؟ "

" لم اقل شيئا دعيني أرى !"

ضربه شئ قاسي على رأسه بغتة، وقع بجانب ساقها التين كانتا تبتعدان عنه فيما صراخها يثقب طبلة اذنه ، حاول الوقوف لكنه كان يقع مترنحا من جديد الى ان غاب عن الوعي..

" نحتاج ناقلة هنا !!"

" لو سمحت انها تحتاج الى العلاج وفورا .. ارجوك انها .."

" اهدأ سيدي .. سنقوم بأقصى جهدنا لإنقاذها "

جلس على طرف الكرسي يهز ساقيه في قلق يجتر ما حدث قبل ساعتين من الزمن يلوم نفسه على ما جرى كم كان سعيدا فيما يحمل كيس الخضار و علبة كبيرة من البوظة بطعم الفانيلا متجها نحو شقته حتى فزعه صوت الزجاج المنكسر و المتناثر على الطابق الأول ، لم يدرك انها كانت نافذته الا وقتما سمع صراخها المختق.. لا يذكر كيف رمى ما بين يديه و ركضه نحو الطابق الثاني، لم يكلف نفسه عناء فتح الباب و لا كسره فقد كان مفتوحا على مصرعيه مثل عينيه التين كانتا تبحثان في كل ركن في الشقة التي كانت نصف محتوياتها اما مكسورا او متبعثرا ، وقعت عينيه على مالم يكن مستعدا له بعد..

امسك شعيرات رأسه بقوة يعصره شعور الذنب و الحزن عليها فيما تحرقه نغمات أنفاسها المخنوقة تحت يديه التين تخنقانهما، لم يقوى على ان يبعد عن رأسه تلك التفاصيل الصغيرة التي تقتله، استلقاها على حواف الزجاج المزروعة على الأرض، صدرها الذي يصارع من اجل الهواء، معصمها النازف تحت قدمه التي تشلها عن الحركة، وجهها الذي سقته الدماء من كل جانب ، لم يحس على دموعه المناسبة لوجعه فهو لا يستطيع ان يفقدها لا قوة له في ان يتحمل خسرانها ..

" لا عليك .. كل شئ سيكون بخير !! " لم يسمع الا كفه الرابت على ذراعه المتعب و المنهك اماء برأسه إيجابا و لم يكلف نفسه عناء النظر نحو من يكلمه

" اخبرني كيف تعرفه ؟؟ "

" انها فتاة و ليست شابا !! "

" و كيف عرفت هذا ؟؟ اين التقيتها ؟؟ و ماذا كانت تفعل معك طيلت هذا الوقت ؟؟ "

" ومن تكون انت حتى ..! " قطع حديثه ما إن لاحظ الضمادة التي حول رأسه و اثار الدماء على وجهه

" هل يمكنني مساعدتك ؟ اقصد انك ..! "

" لا تهتم لأمري .. فقط اخبرني من فعل بها ذلك ؟؟ "

" و لم انت مهتم بأمر حبيبتى هكذا ؟؟ "

" حبيبتك ؟ هل جننت يا هذا ! انها صديقتي انا !! اخبرني كيف وجدتها و م..؟؟ "

" صديقة ؟ هل تعرف هناء ؟؟ "

" اكيد فقد كنا ندرس معا و نتسكع أيضا ..! "

" انا متأسف لم اتعرف عليك فقط انا قلق عليها لهذا بت اشك في كل من يحاول التقرب منها .. "

" لا عليك .. انا ادعى اياك ! " نظر الى كفه الممدودة لتصافحه

" اخبرني شيئا .. لم كانت تدعي انها رجل ؟؟ "

اغلق اياد قبضته في حلق واضح " اخبرك ان اخبرتني كيف تعرفت عليها و من فعل بها هذا؟؟ "

" حسنا .. لا تغضب يا هذا .. سأخبرك فلن يسعنا الا الانتظار "

" من انتم؟؟ لم تختطفونني؟؟ لم تعصبون عيوني و تمنعونني عن الرؤية .. فكوا قيدي هيا !! هل هناك من يسمعي؟؟ "

" ليضع احد ما كمامة على فمها أيضا انها تزعجني بصراخها !! "

" انت .. من هناك .. اسمع .. أممم !! "

" جيد .. لنتصل بوالدك العزيز !! لابد انه يتحرق شوقا لمعرفة اخبارك "

" أممم !!.. أممم!! "

" اهدئي و دعينا نتحدث و الا جعلتك تسكتين للابد !! "

شعرت بالخوف ارتعشت له بصيلات شعرها، فيما كانت تسمع طنين الهاتف البعيد عنها بأمتار قليلة، كانت تشم رائحة انفاس الحقد و الضغينة في كل جزء من تلك الغرفة بينما كان يراودها تفكير واحد لا اكثر من ذا الذي سيسرع لنجدها.. من؟؟

" وددت ان تكون اول كلماتي .. مرحبا .. لكن لا أظن انها مناسبة لك خصوصا بعد ما مر بيننا.. الا تعتقد؟؟ "

" ماذا تريد؟؟ "

" الحقيقة انني لست الشخص الذي يريد ، بل انت .. "

" ماذا تقصد؟؟ وضح اكثر فلا وقت لدي لأضيعه معك !! "

" لو كنت مكانك لهدبت نفسي قليلا لان ما بين يدي الان شئ مهم لك و ربما لن يكفيك عمرك كله لتسترجه "

" المعنى؟.. "

" ابنتك !! "

" ما بها؟؟ "

" لا تخف لم يصبها شئ بعد ، انا فقط استضيفها عندي قليلا ، و لم ارغب ان اكرمها قبل ان تحضر المأدبة معنا .. "

" اين انت؟؟ و لم تحتجزها عندك؟؟ "

" لم اجتزها؟ أمم ! لنرى !! لانها الأهم بالنسبة لك؟.. و عن مكاني فلا تستعجل فسأحدد مكانا مناسباً للقائنا "

" ماذا تريد تحديدا !! "

" القصاص !! "

" حسنا ان تركت ابنتي و شأنها اعدك انني .. "

" الوعود وجدت لتخلف .. و انا لا اثق فيك أساسا .. تعال الى الجرف "

" ماذا؟؟ "

" أظنك تعرف انه المكان المناسب للخاتمة .. كان هناك قبل الخامسة مساء و الا !!! " داس على ساق اميرة المكبل بالحبال التي تألمت بصمت ، و قفل الخط دون كلمة أخرى بينما ينظر الى تعاليمها و دموعها المنسحبة بخجل و خوف ، جمع أصابعه في قبضة من حديد و أشار برأسه الى الحارسين الواقفين بجانبه مثل الجدار

" استعدا .. سنغادر فورا !!! " إماءه صغيرة منهما كانت كفيلة بان يعرف ان امره سينفذ فابتعد نحو الباب المفتوح على مصرعيه و نفث دخان سيجارته من أعماق رئتيه

" مي !! و انت أيضا كوني هناك .. !! "

جلس بين ركام ما حطمه من اثاث شاردا فيما يهمس بجنون واضح " كيف لي ان اسمح لها بالمغادرة؟؟ كيف كنت مستهترا هكذا ؟ ان عرف الحقيقة سأفقدھا ، و ان لم يعرفها سأخسرھا أيضا !! ما الذي سأفعله الان؟؟ كيف افهمه انني لست من يبحث عنه كيف !! " و عاد الى اخر لحظة لها معه..

" ارجوك لا تغادري !! لا ترحلي !! اتركيني فأنا اكره الوحدة !! سامحيني فلم اجد غير ان افرغ جام غضبي عليك ، لا حل لدي غيره و الا سيبعدي !! سيبعدي !! " وقع على ركبتيه يتزجأهما معا فما كانت عيون صغيرته الضيقة تتبع قطرات دموعه متشبثة بياقة أمها البيضاء

" حسن ! كفاك بكاء !! .. انا لن اتركك مطلقا !! انا احبك !! "

حجبت الدموع تفاصيلها الصغيرة وهمس .. " لكنني اذيتك كثيرا .. فهل تسامحيني على هذا أيضا؟؟ "

" انا احبك و هذا يكفيني فلا تحرقنا بهذا الحب ارجوك !! "

وقف على قدميه و ضمهما الى صدره بقوة مغتبطا .. " انا اعدك انني سأحميكما و اعوضكما على كل لحظة الم عشتماها بسببي ! "

" حسن !! انت تخنقنا .. "

" آه أأسف .. أسف .. إنتظري هنا سأعود حسنا لا تغادري من دوني فانا اريد ان اذهب معك لأزور والدك و اعتذر منه أيضا !! "

" هل انت؟؟ هل انت متأكد؟؟ اقصد لا حاجة لك بان تفعل ذلك !! "

" بل سأفعل .. عديني ان لا تغادري من دوني .. هيا عديني !! "

" حسنا .. حسنا .. لا تصرخ انت تخيف لجين .. انا اعدك "

توقف و استدار بعدما ابتعد عنهما بضعة خطوات فيما جلست على صخرة تتأمل بحزن غامر و شرود سطح البحر الهادئ ووضعت لجين ارضا لتلعب بحبات الرمل المبلولة ، تتمم من بين شفاهه

" اعرف انك لم سامحتني لكن قلبك لازال يشك في حبي لك ، لازلت مجروحة مني و بشدة ، لكنني سأستعيد بريق الحب في نظرتك لي .. فقط انتظريني ..!"

دمعت عيونه وقتما تذكر نظرة الحزن التي اكتسحت مقلتيها و نظر الى كف يده الذي رفعه عليها مرارا و تكرارا، تذكر ان الوقت قد فات و عاد ليكيها بحرقة، توقف قلبه عندما عبرت صورة جسدها الطافي والهامد على سطح البحر تتبعه صغيرته لجين التي كانت حركتها تخف وتضعف شيئا فشيئا ، كان اللحظة التي تؤلمه بشدة ، اللحظة التي لم تمضي بعد .. صارع الموجات لينفذ صغيرته التي توقفت عن التنفس و اخرجها من مياه البحر بعد ان لطمته جثتها الهامدة ، حمل ابنته على ذراعيه باكيا راكضا نحو اقرب طبيب يعرفه و يثق فيه، مخلفا قلبه و وجعه الذي لم ينس تفاصيله يوما ، مسح دموعه التي تغسل وجهه وتنهذ ليأخذ الهاتف بين يديه و يتصل على اول رقم قابلته عيونه ..

قفز من مكانه ما إن لمحها تخرج " أخبريني يا دكتورة كيف حالها؟؟ هل هي بخير؟؟ "

" لا تقلق لقد اخطنا الجرح ، مصابة ببعض الرضوض و الجروح عامة كسر على مستوى الساق اليسرى و التواء بسيط على مستوى الرقبة لكنها بخير عموما و ستعود لوعيتها بعد دقائق "

" الحمد لله .. هل سمعت هذا !! كدت اموت رعبا عليها"

كان حسام يراقب اهتمام اياد الزائد و قلقه الواضح في صمت " اهي حبيبتيك؟؟"

" اجل !! " و نظر نحو حسام بخجل فيما تابعت الطبيبة " يستحسن ان تقلق عليها فقد حاول احدهم خنقها كما احدى شرابين يدها مقطوعة .. الا تعرف من فعل هذا؟؟"

هم بالإجابة لكن حسام سبقه فيما وقف واضع يديه داخل جيوبه بنطاله " لقد كان لصا مقتعا ، و لقد اخبرت الشرطة و انها تقوم بالتحقيق الان.. شكرا لك يا دكتورة "

بلع اياد ريقه بصعوبة " هل يمكننا ان نراها الان؟؟"

" نعم يمكن لكن حاولا ان لا تجعلها تتحدث انها متعبة جدا و تحتاج الى الراحة التامة "

اغتبط اياد " لا تقلقي من هذه الناحية سأحرص على ان ترتاح و ان لا تقوم باي جهد مطلقا !!"

" جيد .. انا استأذن "

هم حسام بالمشي في اتجاه الغرفة لكن اياد منعه " الى اين؟؟ انت لم تجبني بعد !!"

" عن ماذا؟؟"

" من حاول قتلها؟ و كيف .."

" قبل ان تفتح شلالات اسئلتك مجددا دعني اقل لك شيئا .. انا لا اعرف من هو بالضبط لقد كان شخصا كبيرا نوعا ما هزيلا بارد الملامح لم يتوقف عن خنقها حتى حينما صرخت في وجهه لم يخف مني مطلقا ، و حينما حاولت تخليصها من بين يديه دفعتني على جانب الجدار اين جرحت يدي بقطعة زجاج كانت تنحشر هناك .. انظر!!" و أظهر كف يده الأيمن لأياد

" ان الجرح عميق عليك ..!!"

" غير مهم .. ما يشغل بالي ان اعرف من كان ذلك الشخص الذي كان يحاول التخلص منها بتلك الطريقة البشعة .. أيا كان فإنه شخص خطير جدا و لن يستسلم بسهولة ، نظرات الشر تلك لن تنطفئ الى ان تحرق كل شيء "

" لكنني اعرف .."

" تعرف؟؟ كيف؟؟ من؟؟"

" دعنا ندخل الغرفة أولا ثم سنكمل الحديث لاحقا لان هذا الموضوع يحتاج منا الى تفكير و هدوء كبيرين"

دخلا الغرفة اين توقف اياد بموازاة الباب، بينما اقترب حسام منها و سحب كرسيها ليجلس عليه سائدا رأسه على كفيه المضمومين الى فمه في هدوء بالغ ابعد الشعيرات التي تخفي جروح وجنتها ، كانت الغيرة تأكل قلب اياد و تشعل فيه نارا لا تنطفئ لكنه لم يقوى على ان يتفوه بحرف كي يمنعه من لمسها بكل ذلك الود ، تذكر يوم كانت تبكي بحرقة ، وقتما سمع انينها لأول مرة ، ادرك انها تحتاج الى صدر حنون الى كم كبير من الحب حتى تشفى الى من يكون جزءا من عائلتها ، كان يحفظ كل تفصييلة فيها بشرود بالغ الى ان رن هاتفه فجأة و كسر الهدوء الذي يعم المكان ، جر قدميه خارج الغرفة

" مرحبا سيدي .. انا!!"

" اين اميرة أيها الغبي .. اين كنت وقتما اختطفها .. الم يكن من المفروض ان تتبعها كظلها؟؟ و كيف لا تخبرني حتى عن ما حصل؟؟"

" اهدا سيدي .. لقد ضربني احدهم وقتما كنت ارافقها فوقعت مغشيا علي و لم اتعرف على من اخذها انا متأسف فعلا!!"

" و هل يكفيني تأسفك؟؟ اخبرني أيها الاحمق كيف ستنفذها من برائن ذلك العجوز الحاقد؟؟"

" عجوز؟؟ من تقصد سيدي؟؟.. هل تعرف مكانها؟؟"

" اجل .. عد الى هنا فوراً!! احتاج الى حماية حينما اقبله فلا اعرف فيما يفكر بعد "

" حاضر سيدي .. سأعود فوراً .."

اخفى الهاتف متأففا ..

" ماذا حصل يا اياد؟؟ "

" لا شئى مهم .. انا سأغادر .. اعتني بها الان و سأعود مائن انهي ما بدأت .. " امسكه حسام
من ذراعه حتى يمنعه من الرحيل

" اسمع قد لا تكون بيني و بين النائمة هناك علاقة واضحة ، و لا بينك و بينها أيضا ، لكننا
اصبحنا أصدقاء و تربطنا هي ببعض ، لن اسمح لك بالرحيل ما إن تخبرني انا اكبرك سنا
.. "

" ليس هناك م.. "

" اسمع لا داعي للكذب !! هيا ادخل لنجلس و نتحدث علنا نجد حلا مناسباً "

عم الصمت بعد ان اتم اياد رواية ما حصل بينما كانت الممرضة تحقن الدواء فالمصل
الموصول بذراعها ، انتظرا حتى أغلقت الممرضة الباب خلفها

" علينا ان نعرف من تكون لجين هذه !! ربما سنصل الى فهم ما يدور هنا .. الا تعتقد يا اياد
.. "

" انت محق .. لكن من اين نبدأ فلا وقت لدينا .. "

" لجين هي الحفيدة الوحيدة لياسين .. " كان هسيسا صادرا من المتلقية بجانبها تسمع ما كانا
يقولانه

قفزا من مكانيهما بسعادة و غبطة " هناء هل انت بخير؟؟ "

" منذ متى استعدت وعيك؟؟ جيد انك بخير !! لقد افزعتني عليك !! "

همست " انا بخير .. اهدئا !! .. اياد ماذا حصل؟؟ لم ..؟؟ " و اشارت الى الضمادة على رأسه

ادعى اياد انه بخير مبتسما " انا بخير .. من الجيد انه حصل معي لأجذك !! "

" حسام؟؟ كيف التقيتما؟؟ فهو لن يخبرني شيئا على الأرجح؟؟ "

" لقد كان هنا وقتما ادخلتك المشفى صباح اليوم .. "

همت واقفة تبتعد عن السرير بعدما خلصت ذراعها من المصل

" الى اين؟؟ الطبيب .. "

" ابتعد يا اياد .. لو سمحت !! انا اريد ان اخرج من هنا .. " شعرت بالدوار فجأة فاسندها
حسام

" من غير المعقول ما تفعلينه يا هناء !! لست بخير !! يجب عليك ان ترتاحي و .. "

" اميرة في خطر انا اعرف ذلك و من واجبي ان اساعدها "

" اميرة !! هل نسيتي ما حصل معك؟؟ وقتما .. "

" لا لم انسى .. لكنها تحتاجني الان ، انا موقنة انها تشعر بالخوف و تحتاج مساعدتي !!
إضافة لا سلام بلا صراع ألم تفهم بعد !! "

" لن اسمح لك بالمغادرة هكذا ..كيف ستساعدنها في هذه الحالة ؟؟ انظري لنفسك ! حالتك سيئة للغاية "

" أياذ ارجوك !! انا لن اتخلى عنها !.. "

" هل تريد الموت ؟؟.. لم انت عنيدة هكذا !!.. "

" لا احد يموت لأنه راغب في ذلك حتى المكتئبون منهم اذا رميتهم داخل مياه البحر فهم سيقاتلون حتى لا تغرق ارواحهم و تسجن للأبد.. "

" لكنني لن .. "

" أظن انني افهمها ، اعرف هذا الشعور جيدا ، شخص مثلنا لا يمتلك أحدا لن يستطيع ان يترك الأشخاص الذي تقرب منهم ، نحن ببساطة لا نتخلى عن من نحب حتى و ان تخلوا عنا " نظرت اليه و ابتسمت في رضى ، فيما زفر اياذ بحنق " غير معقول ما تقولانه .. هذا جنون .. "

" لم اعرف يوما شخص مخبولا بقدرك .. " استفزته بكلماتها التي اضحكت حسام

" انت ايتها .. تعالي الى هنا !! "

" حسام .. انقذني !! "

ربت حسام على كتفه .. " اهدأ .. فلا يجوز ضرب المرضى خصوصا المميزين منهم "

" انتظراني سأغير ثيابي بسرعة "

دخلت الغرفة فيما شخط اياذ في وجه حسام " كيف تسمح لها بمغادرة المشفى هكذا .. ماذا ان ساءت حالتها ماذا سنفعل حينها ؟ و الوضع خطير نحن لن نذهب الى النزهة !! "

" انا على دراية بكل ما تقوله، لكن لا يمكننا ان نمنعها لكن لا تنسى ان حياتها وضعت على المحك بسبب قصة الإنتقام تلك، و ان كانت تريد الخلاص عليه ا تواجه اخر عقبة فيها سواء اقبلت ام رفضت ، علينا ان نقف بجانبها و نساعدنا فهي تحتاج دعما لا حماية .. هل فهمت هذا ؟؟ "

" انت محق .. لكن لا يمكنني ان انكر انني قلق للغاية فلا نستطيع التنبئ بما يمكن ان يحصل او ما يختبئ هناك علينا ان نكون مستعدين لكل ذلك ! "

" سنرى ما يخبئ لنا القدر !! "

على عقارب الساعة المتحركة تتدلى قلوبهم الخائفة و المجروحة على فقدان ذلك الجزء الذي كان يكمل ما هو ناقص فيهم فيما يعبث الجرف البحري بذكرياته ، كانت خيبته بفقدانها اكبر وقتما ادرك انها اخر الطريق و انها لن تعود ابدا .لم يهتم بوقع الخطوات التي كانت تقترب منه ببطئ فلم يكن في حاجة لان يستدير لأنه يعرف صاحبها جيدا ..

" ماذا تفعل هنا يا علي؟؟ الم اخبرك ان تبقى ف السيارة معهما!!"

" سيدي انا اردت ان اطمئن عليك و ..!"

" علي!!.. كم علي ان اخبرك من مرة انني حينما اعطيك امرا اريده ان ينفذ بصمت و لا يقبل النقاش!! اعلي ان اعلم مجددا!!"

" اسف سيدي!! انا .. قطع حديثه و قتما لمح ضلا يقترب منهما

" سيدي!!"

" ليس عليك ان تنبهه انني هنا!! فهو يحفظ حفيف الثرى تحت قدمي!"

" لقد ابكرت!! مازال على موعدنا نصف ساعة تقريبا!!"

" اخبرني لم اخذت ابنتي؟؟ و اين هي؟؟"

" لست مخولا بطرح الأسئلة هنا بل انا من ينتظر منك العديد من الأجوبة المقنعة " و أماء لخدمه الذي ابتعد خلف الشجيرات القصيرة زافرا بقلق و غضب فيما يتلصص النظر و السمع من بعيد

" واضحا ما تنقب عنه في هذا المكان .. لكن دعني اخبرك شيئا .. لن تجد روحها هنا أيضا!!"

قدح الشر في عيني ياسين الذي انفجر صارخا "لا دخل لك بها أ تفهم!! انت اخر شخص اطلب رأيه حولها!"

" أ فعلا؟؟ اذن اخبرني لم انت هنا؟؟ لم اختطفت ابنتي؟؟ لم قررت ان يكون لقائنا هنا ان لم يكن لذكرى مي شأن في هذا كله!!"

امسكه من ياقته بقوة " قلت لا تذكر اسمها فهذا لا يحق لك.. ليس بعد ان عذبتها و قتلتها!!" حرر نفسه من بين يديه قائلا .. " انا لست مدينا لك بتفسير يقنعك انني لم اكن قاتلها فأنت تبحث في المكان الخطأ!! "

" اقسام ان اجعلك تتعذب بنفس الألم الذي تجرعتة ..اقسم ان اجعلك تمضي حياتك تتحسر على ما ستفقدته .. "

" لم لا تحتفظ بوساوسك لنفسك فلا اريد سماعها، يكفيني انها تعشش في رأسي لسنين طويلة .."

" ان قبضة الضمير لا ترحم إنها اقوى من يد القانون متأسف انا لعدم مقدرتي على مساعدتك!!"

زفر بقوة و زجره قائلا " لقد ضاق صدري بسماع تهكماتك!!.. اسمع الان أيها العجوز لأنني سأسألك لأخر مرة اين هي ابنتي؟؟ اخبرني اين هي و الا ..!"

" و ان لم اخبرك ماذا ستفعل؟؟ لا تنسى انك تغرق لانني من اكبل يدك و المفتاح مازال في قبضتي !! فكن مهذبا و الا اريتك الوجه الاخر الذي لا تعرفه!"

" ها ها ها .. تهددني؟؟ لا تجعلني أذيك فانا لا ضغينة لدي لك .. اعطني ابنتي و لننسى ما حصل!"

" انسى ما حصل؟؟ .. قتلت ابنتي و تريدني ان انسى؟؟ "

" للمرة الالف اخبرك لست من قتلها .. لست من فعلها .. "

" أتظنني غيبا حتى اصدق انك كلامك .. اعرف انه انت .. ابتعدت عنها لتعود و تلدغها و تسم قلبها و تقتلها فالأخير فقط لتنتقم مني !! " دمعت عيناه بحرقة خلف نظاراته الطبية فيما شهر مسدسه في وجه حسن " لننتهي من هذا الحديث الذي طال .. سأرى موتك وقتما ارمي حسناك من فوق هذا الجرف .. "

" ماذا تعني...!!" اخذ ياسين الهاتف و كبس على الزر.. و بعد ثواني احضر الحارسان اميرة مغشيا عليها " اميرة .. هل انت بخير .. اميرة!" حاول حسن الاقتراب لكن صوت ياسين و اشارته بفوهة المسدس اوقفته " اسمعني انت مخطئ .. الفتاة لا ذنب لها .. اقتلني ان اردت لكن هي .. "

" لا...!! ابنتي و حفيدتي لم يكن لهما ذنب أيضا .. "

اماء لهما ياسين بأخذها الى طرف الجرف فسحبها الى هناك بعد ان أزالا كمامة الفم و العينين عنها منتظرين إشارة منه

" هل تحس بوجعي الان؟؟ هل تحس بالخوف؟؟ شعرت بالخوف أيضا وقتما اتصلت بي الشرطة .. اخبرني الان .. لم تقتلها؟؟ لم؟؟"

" سواء اصدقت ام لا انا لم اقتلها .. كيف يقتل الشخص من يحب؟؟ كيف يخنق نفسه بيديه كيف؟؟"

اقترب منه و وضع فوهة المسدس على قلبه " لنفترض انك لم تفعل فمن قتلها اذن؟؟ من الذي كا... "

" انا اخبرك من !!!" نظرا في اتجاه الصوت الاجش الذي كان صاحبه يعرج و بجانبه اياد ..

" هاني؟؟ ماذا تفعل هنا؟؟ اياد كيف ..؟؟"

" سيد حسن .. اسف لكنني لا استطيع الإجابة على كل ما حصل لان الوقت غير مناسب "

" هاني أيها الغبي !! لم عدت؟؟ هل تظن ان بإمكانك انقاذ اميرة تلك برجلك المكسورة هذه؟؟"

" لا سيدي !! لم آت لأنقذها بل لأنقذك انت !!"

انتفضت على عيار الناري و أفاق من غيبوبتها القصيرة تصرخ بهستيرية

" هاني .. ارجوك انفذني !!..هاني !!"

أشار ياسين بفوهة المسدس نحو الحارسين " اذا لم تخرسها فسأخرسك مكانها ..!!"

همس حسن .. " كيف تعرف هذا المجنون !! .. "

" املك اذنين يا حسن !! .. لم لا تصمت انت أيضا و دعنا نسمع ما بحوزته ..!!" نظر اليها

" اسرع !! فلا وقت لدي ..!!"

" لم لا تنادي كاتم اسرارك أولا ..؟؟"

" ما دخل علي في هذا ؟؟" زفرت متجاهلة تهكمه فيما اردف " على كل .. علي !!.. " تقدم

الخادم تصطك ساقاه الواحدة خلف الأخرى

" وها قد جاء .. و لقد نفذي صبري أيضا !! .. وبدأت تراودني فكرة انك تحاول تضيع وقتي

وسأقتلك ان كنت تفكر في ذلك لتحرمهم من بين يدي !! "

"من اخبرك انني أخاف الموت سيدي ؟؟ .. منك تعلمت ان الموت راحة و ان الحياة عقاب

لا ينتهي !!.. المهم ان اردتما ان تعرفا كيف ماتت السيدة مي فسأخبركما القصة .. يقال ان

الكره اشد اثرا من الحب ، انه مرض القلب وقتما يموت فيه الشعور بالمحبة و هذا ما حصل

مع قاتل السيدة .. كان يحبها حبا لدرجة ان كان يحلم بأن يملكها رغم منذ الصغر، كان يرفض

مقابلتها لسيد حسن حتى يمنعها من التعلق به و هو من سبب لها العقبات العديدة حتى يفصلها

عنه ، لكن السيدة مي كانت تحبه فلم تقوى على الابتعاد عنه و هربت معه ، ربما انت تقبلت

ذلك (و أشارت الى ياسين) لكن والده (وأشارت الى حسن) لم يتقبل ذلك وهذا ما كان نقطة

ضعف في علاقتهما استغلها القاتل بإحترافية و جعله يظن ان لسيدة مي مآرب أخرى و بدأ

حقده عليها "

" اذن هو والدك ؟؟..اقسم ل..!!"

" لا انت مخطئ ليس هو .. والده ضيق عليه الخناق حتى يتخلى عن السيدة مي و يعود اليه

، قطع عليه الامداد المالي و أمور أخرى غيرها جعلت السيد حسن يدمن القمار و شرب

الخمير لأنه لم يكن قادرا على ان يعبل عائلته الصغيرة و لا حتى ان يوفر متطلبات ابنته

الصغيرة ، كانت السيدة تأخذ نقودا منك ، احس السيد حسن بالذل و المهانة كونه يقتات من

الفتات الذي توفره زوجته و بدأ برفع يده عليها .. "

انزل حسن عينيه الباكية بمذلة و خجل فيما اتسعت عينا أميرة لما تسمعه عن ابيها

" لقد كانت تحبك سيدي .. لهذا تحملت سوء معاملتك لها و لم تهجرك الى يوم دفعتها عنك

وزرعت بذور كرهك فيها .. لقد توفيت يومها أ تذكر ؟؟" أماء حسن برأسه فيما إرتعشت يد

ياسين بحقد ..

" كيف تعرف كل هذا .. اقصد .. "

" طلبت منها المغفرة لكن حبك في قلبها قد مات و رغم ذلك إلا انها سامحتك من اجل ابنتكما

لجين !! (و نظرت في اتجاه اميرة) .. بعد مغادرتك الشاطئ سمعت صوته خلف ظهرها

، سعدت بلقائه ، عانفته بقوة فمعزته كانت من معزة والدها وكيف لا و هو اقرب شخص لها بعده .."

" من تقصد؟؟ .. هل (نظر ياسين نحو وجه خادمه بصدمة) .. علي !!"

اشهر علي مسدسه في وجه هناء صارخا .. " اخرس و الا .."

" و الا ماذا؟؟ هل ستحاول ان تقتلني مجددا؟؟ .. هل ستحاول ان تمنعني عن كشف الحقيقة وأن تخفيها للأبد؟؟ لا تفلق انها محفوظة في أماكن أخرى ، و هناك اشخاص غيري يعرفونها " نظر اليها أياد ببلاهة فهو لا يعرف شيئاً ما تقوله ، رغم كل محاولاته لم يحصل الا صفرا يحوم فوق رأسه ..

" قلت اخرس ..! "

صوب ياسين فوهة المسدس نحو علي " اكمل يا فتى .."

" سيدي !! هل تصدقه؟؟ انه يكذب .. انا خادمك الوفي و لا ..!"

زجره ياسين بحقد واضح .. " اخرس .."

" طلب منها ان تترك ابنتها و ان تذهب معه، لكنها لم ترغب بذلك ، باغتتها و رمى بالفتاة الصغيرة في عرض البحر كلوح خشب ، فيما كانت السيدة تترجاه ان لا يفعل ، كان يجتثها من شعرها حتى يأخذها الى مكان لا يصل اليه احد حتى انت يا سيدي !! لكنها قاومتها و بطريقة ما ضربته و حاولت الركض حتى تنقذ ابنتها التي كانت تشد على صخرة تسكن مياه البحر، امسكها بحقد و خنقها بعدما كانت تحاول الصراخ طالبة النجدة ، و لم يتركها الى ان فارقت الحياة لمح طيف حسن قادما من بعيد فسحبها بسرعة من الشاطئ و رمى بجثتها في البحر لتطفو بجانب ابنتها هامة لا حياة فيها"

" غير صحيح .. انه .. انه .. يكذب .. لا تصدقه .."

تألم ياسين من خيانة خادمه له " رأيتني احترق لسنين بنار الحقد على الشخص الخطأ بينما كنت انت .. انت .. انت من قتل صغيرتي !!"

" كذب كذب هذه الفتاة تكذب !!"

" لقد كان يحاول تضليلك سيدي ! لأنه كان يحاول ان يتخلص من اخر شخص يقف عقبة في طريق مخططه.."

" ماذا تقصد؟؟"

" لقد كان يحاول جعلكما عدوين حتى ينهي امر الوريث .. او الوريثة !!"

اتسعت عينا حسن و سأل ياسين ببلاهة .. " وريث؟؟ وريثة؟؟ هل جننت يا هذا .. لقد فقدت كل عائلتي في ذلك اليوم .."

" لم لا تخبره يا سيد حسن .. ان الشخص الذي تحاول حمايته يكون حفيدته .. لجين !"

" لجين !! لجين قد ماتت .. "

" لم تمت .. بل اختفت .. لقد ابعدها حسن حتى يحميها بأمر من والده الى ان يعرف من قتل زوجته لكن حسن شكك بنوايا والده و هرب من المنزل مع ابنته بعد ان غير هويتها بإعطائها اسما اخر .. انها الفتاة الذي تحاول الانتقام عبرها .. اميرة ..!" إنطفأت الحياة في عيني اميرة وجثت على ركبتيها بعدما لم تعد ساقاها قادرة على حملها لكل ما سمعته وضع ياسين فوهة المسدس على جبهة علي بينما الدموع تغسل وجهه و ألمه " انت خائن .. قاتل !!"

" ارجوك سيدي .. انا لم افعلها .. انه فقط يضللك .. لا دليل لديه .. "

" بلي لدي .. " فزع علي لما سمعه و تحول جسده الى كتلة من جليد " هناك شاهد .. انه الشخص الذي شهد على كل لحظة الم ووجع عاشتها السيدة مي .. !! "

" انها تكذب سيدي .. من غير المعقول ان تصدقها .. هل نسيت اننا من صنعناها .. نحن من جعلنا الفتاة التي عليها شابا قويا و .. "

ضربه بفوهة المسدس على جبهته " اخرس لا اريد ان اسمع أي شيء منك .. فلا مكان عندي للخونة!"

" هل كنت تظن انني لن اعرف انك السبب وراء ابعادي .. كنت ابحت طوال هذه المدة عن ما يخلصني من هذه الدوامة لكنني لم اكن اعرف صراحة انني سأصل اليك لهذا حاولت قتلي في الشقة يومها .. "

" اميرة .. لا تصدقيه .. انا لم اقتل امك .. انا كنت احبها بشدة .. لا تصدقي هذا الجاسوس .. انه ليس كما تظنان يا سيد حسن .. انه ليس شابا بل فتاة .. "

أحست أميرة أنها وقعت داخل حفرة عميقة لا قاع لها بعدما فقدت الثقة في كل ما حولها حتى هاني قد خدعها فيما قال حسن ببرود .. " اخرسه .. انتقم لها .. قبل ان افعل انا فلم اعد استطيع كبح نفسي عن خنقه بيدي .. "

حاول علي التوسل بعيون مأكرة تتدعي الحزن فيما يسحب السكين من داخل جاكيتته الكلاسيكي الأسود

" ارجوك سيدي .. سامحني .. لم اكن اقصد ايذاءها .. كنت اريدها ان تبتعد عنه لأنه كان يعذبها .. انا اسف .. "

" انا اكره الأسف .. اطلب الغفران منها .. فالأموات لا صوت لهم ..!"

سمعت انينا و قطرات دماء متساقطة تبعها جسد ياسين الهامد بسكين تنغرس داخل كبده

" جدي!!.. "

" سيدي !! "

" ياسين !!.. " هزه حسن فيما كان يصرخ طالبا منه الاستيقاظ بينما استغل علي الفرصة و هرب مبتعدا رغم محاولات حسام منعه ..

" ان طبيعة النار ان تحرق كل ما تراه و تحوله الى هشيم تتلاعب بيه الرياح .. لقد وصلت الى نقطة النهاية سيدي !!"

" اخرس .. فهذا لم ينتهي هنا .. و لن ينتهي الا عندما انا اريد .. !"

" اميرة !!.."

" لجين !!.. انه الاسم الذي اسمتني اياه والدتي .. "

" الى اين يا صغيرتي؟؟ الى اين .."

دفعت والدها بعيدا عنها و هي تشير اليهم إصبعها متوعدة " ابتعد.. فلا علاقة عادة تربطنا سويا الا هذا الحقد الذي اشعلتها في داخلي .. اقسم انني سأنتقم .. سأنتقم منكم واحدا واحدا .. "

" اميرة .."

" لقد خنت ثقتي يا هاني .. اسفة فلم اتعرف الى اسمك الحقيقي بعد .. أقصد بما انك فتاة !!"

بكت بحرقة فيما كانت تركض مبتعدة عنهم

همست هناء بحسرة .. " ا.."

حاول أياذ ان يتبعها لكن حسن منعه .. " دعها لوحدها قليلا .. انها تحتاج لذلك !.. ان تخسر عائلتك في ثواني امر صعب .. "

" انها ليست قوية مثلما تعتقد يا سيدي .. انها تخفي جروحها ما يجعلها تتألم بشدة "

" اسمع .. اسمعي !! اهتمي بشؤونك و ابتعدي انها ابنتي فأنا اعرف كيف .."

" لا تكرر نفس أخطائك القديمة سيدي و الا فستفقدنا مجددا .. " نظرت الى اياذ " هيا لنرحل فلم يعد هناك سبب للبقاء .. "

كانت تقف خلف جذع شجرة خاوي ، تحسب عدد خطواته المبتعدة عنها ، مسحت دمعنها المناسبة في حزن و خذلان فيما شدد بقوة على صدرها هامسة .. " الحب مؤلم .. مؤلم فعلا .."

جلست على الثرى باكية بعدما عرفت انها خسرته للأبد و كتبت اسمه بغصن مكسور مرمي على الأرض .. " هل علي ان استسلم ام اقاتل من اجل حبي لك؟ .. و من سأقاوم انا ام انت ام هي؟؟ هي التي لم تكن موجودة قبل سنين خلت .. " عادت بخطى بطيئة إلى جثة جدها الهامدة و احست بالشفقة عليه فعلا . جمعت قبضتها فيما كان والدها ينظر للفراغ .. تأملته مليا ثم همست

" انا لن أكون نسخت عن احد لن اخسر من احب مثلك يا أبي .. لن اتنازل عن حبي من اجل أي كان .. سأقاوم .. الى اخر نفس .. انتظريني فأنا لن اسمحك لك ان تكسرنني مطلقا .."

" اميرة؟؟ .. " هل قلت شيئا؟؟ "

" لجين يا ابي !! لجين !!... "

" اجل انا اسف .. فقط .. انه لمؤلم ان اذكر هذا الاسم .. فقط انا .. "

" عليك ان تتحمل الألم يا ابي، اذا كنت تريد الاستمرار .. تحمل .. "

" .. لجين .. انه لمؤلم ان تخسري من تحيين مرتين؟؟ .. مؤلم جدا .. "

" اعرف .. وحدي انا من تعرف كيف هو شعورك " ركعت على ركبتها تنسحب من عينها دمعة هاربة و استرسلت بشرود واضح .. "اقسى انواع الالم و اشدها ان يكون جرحك باردا مخدرا لدرجة ما عدت تشعر الى اي مدى جرحت و خذلت .. ليس كل ألم نبكيه حقيقي فقد نبكي انفسنا عبره .. الالم ان لا تعود قادر على تحديد ما إذا كنت حيا او ميتا.. ما إذا بقي فيك شئ من الاحساس لتقول " انني اتألم .. " هذا هو الالم بعينه .. ان لا تقوى على التحدث عنه ، ان تجد نفسك وحيدا وسط الكل لا يملؤك غير الحزن و الخذلان .. حينما يحترق قلب الشخص بالخذلان و الخداع او حتى الخيانة .. يصدم ببساطة غير مصدق ان كم ذلك الحب لم يكن يكفي ليبنى له درعا يحتمي به ، ليس لان حبه كان قليلا او ان الوقت كان سببا .. بل في انه ظن وقتها انه لن يحتاجه ببساطة.. "

نعم انه الحب .. ما يجعلك غيبا لدرجة تفنقر فيها للمنطق ، لا و بل تعاكسه و تدخض الحقيقة لتهرب منها، و تتحول لعبة الغموضة التي ابتدعتها لوقت قصير الى عمى دائم يصيبك وقتما تقابل واقعك المرير ، حينها تبدأ اولى دقائق الخطر و سييدا قلبك بالاشتعال شيئا فشيئا لتجد نفسك في الاخير تحترق برماد بارد شردته الرياح هنا و هناك . تصفعك الحقيقة و تتفاجأ بأن تجد نفسك وحيدا يعصرك الضعف و الخجل و تضحك في وجهك الخيبة الألاف المرات و سيصيبك شعور الفقد و الحنين لنبض قلبك البريئ و بالجنون و التيه وسط مليارات الأسئلة التي لن تسألها له مطلقا .. تختلط عليك الامور ولا تجد غير الجلوس و تركها تحوم حولك مكونة مجرة أنت مركزها سيبهت نجمك و تجف عرقوك من الحنين و الإشتياق .. و سيحزنك قول واحد فقط " الم يكن حبي له كافيا؟ " في ذلك الوقت فقط ستعترف لنفسك انك كنت الوحيد من نسج قصة الحب تلك ، الوحيد الذي عاشها .. وانه لم يكن طرفا فيها قط. حينها سيشدد الأم و لا يعود هناك قدرة لك في ان تتحمل ، ستبكي وبعدها ستسكت ، ستحزن و يخيب ظنك في كل شئ و تقهر .. شدة قهرك و حزنك تجعل كل شئ بك يتخدر لدرجة انك ما عدت تحس بالألم مطلقا و حتى انك ستشك اخيرا في ما اذا كان هناك جرح من الاساس لانك ما عدت تعرف في اي مكان بتحديد جرحك ، ربما ستعتقد انها اولى مراحل النسيان او تعود ، التقبل و ربما يكون مجرد تجاهل منك وحسب ، لكنك في الاخير ستدرك ان ذلك الشرخ لم يكن مجرد خدش بسيط يدميك بل في لأنك بترت وقتها ، و فقدت جزءا منك انت .. لا يعوضه شئ بعدها غير الحزن الذي لن تجد غيره مهربا "

قاطع سيرورة أفكارها التي كانت تعبر عنها بصوت مسموع و حزين " لجين !!... "

" ليس الان يا ابي .. ليس الان ... "

الى اللقاء في الجزء الثاني